ثقافات الشعوب





مبتلع السحاب العملاق

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

جمع: فرانك هاملتون كاشنغ
ترجمة: إيزميرالدا حمدان

مبتلع السحاب العملاق

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

جمع:
فرانك هاملتون كاشنغ

ترجمة:
إيزميرالدا حمدان





مبتلع السحاب العملاق

الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

مبتلع السحاب العملاق: الحكايات الشعبية لقبيلة زوني

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

E99. Z9. C97412 2009
Cushing, Frank Hamilton, 1857-1900.
[Zuni Fairy Tales]

مبتلع السحاب العملاق: الحكايات الشعبية لقبيلة الزوني/ جمع فرانك هاملتون كاشنغ؛ ترجمة إيزميرالدا حمدان. – ط.1.– أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.

194ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).

تدمك: 8- 504-01-978-9948

ترجمة كتاب: Zuni Folk Tales

1 - القصص الشعبية الأمريكية 2 - الحكايات الأمريكية. أ- حمدان، إيزميرالدا. ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش

إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان



info@kalima.ae
www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ، فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ، فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

بات من المفيد مقارنة خرافات الشعوب مع العلم، حيث يستخدم مصطلح الميثولوجيا للدلالة على خرافات القدماء، ويستخدم مصطلح الفلكلور (الفن الشعبي) للدلالة على خرافات الجهلة في أيامنا المعاصرة. وقد دُرست الأساطير القديمة بعناية من قبل المفكرين المعاصرين لأغراض التشبيه والكناية في بناء الأدب وخاصة في الشعر، ومن ثم التحقق منها لسبر أغوار المعاني الغامضة فيها، بناء على النظرية التي تقول إن حكمة القدماء كانت أسمى بكثير من الحكمة المتداولة في عصرنا هذا. وحالياً، يشارك العلم في هذا المجال، مقارناً ما بين الأساطير، وبين هذه الأخيرة والعلم نفسه، بهدف استكشاف مراحل تطور التفكير البشري.

عندما غدت أساطير الإنسان القبلي موضع الدراسة، أصبح معروفاً أن فلسفة الإنسان القديم حملت طابع الأساطير التي تشرح ألغاز الكون ضمن مجموعة من الحكايات يقصها

العجائز والأنبياء والكهنة. يتشارك موروث الحكمة بين البدائيين الأصول والمعاني والدلالات نفسها الواردة في موروث هسيود[1] وهوميروس[2]، لجهة كونها أساطير بالمعنى الأولي. ولكن أساطير الإنسان القبلي مجردة من فتنة الشعر وسحره، ولهذا فهي قد تبدو فظة وحشية بالمقارنة مع الأوذيسة مثلاً، ولا يمكن تصنيفها فلسفياً في أي مرتبة أعلى من قصص الجهلة وخرافاتهم والتي تدعى بالتراث الشعبي، ولذلك وبالتدريج أصبحت أمثال هذه الأساطير جزءاً من التراث الشعبي. وبالتالي فالفلكلور أو التراث الشعبي هو أساطير منقوصة المكانة، أو فلسفة مندثرة ارتدت قالب الأساطير. وفي أيامنا هذه فإن قصص الإنسان الهمجي[3]، والتي تفتقر إلى النبض الفلسفي الخلاق حسب تقييم الإنسان المتحضر أو المتعلم، تدعى اليوم بالتراث الشعبي (الفلكلور) أو الحكايات الشعبية. وتشكل هذه القصص الشعبية التي جمعها السيد كاشنغ، مجموعة ساحرة من الحكمة التي يؤمن بها قوم

---

(1) شاعر ملحمي يوناني يعتقد أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، تنسب إليه قصيدتان ملحميتان هما الثيوغونيا والمشاغل والأيام (م).

(2) المعروف، صاحب الإلياذة والأوذيسة (م).

(3) في زمن وضع هذا الكتاب وقبله كان من الرائج لدى الغرب استعمال مثل هذه الكلمة Savage في وصف القبائل الأفريقية أو قبائل الهنود الحمر (م).

زوني[1]، رغم أنها قد لا تكون تشكيلة ساحرة من حكايات قوم زوني الهزلية كما قد نذهب نحن إلى الاعتقاد. فقد ينظر عصر ما بعين السخرية إلى حكمة العصر الذي سبقه، وقد تبدو آراء الإنسان القبلي طفولية للإنسان المتحضر. إذن لماذا يتحتم علينا أن نبحث ونكتشف أفكاره؟

إن العلم الذي يسعى لمعرفة حقائق الكون، لا يتوقع أن نعثر عليها في الأساطير أو التراث الشعبي، وحتى أنه لا يعتبرها أساسية في التنميق الأدبي، على الرغم من أنها تخدم هذا الغرض جيداً. ولكن في عصرنا هذا يعتبر العلم الحديث الموروث الأسطوري شديد الأهمية لمعرفة مسار التطور الإنساني، تطور اللغات وأخيراً التطور في الآراء والمعتقدات. فتطور المعتقدات هو من الفصول الهامة في علم النفس، إذ لا يعود علماء النفس إلى الماضي بغية العثور على معتقدات راسخة بل ليعثروا على مراحل تطور تلك المعتقدات، وعلى هذا فإن للأساطير أو التراث الشعبي فائدة أساسية وأهمية عظيمة.

---

(1) Zuni: قوم زوني أو اشيوي كما يسمون أنفسهم هم قبيلة من سكان امريكا الأصليين، تنتمي إلى شعوب «بويبلو» (كلمة مكسيكية تعني الدسكرة أو القرية أو الضيعة) Poeblo عاشوا (وما زالوا يعيشون) على ضفاف نهر زوني المتفرع من «نهر كولورادو الصغير»، في غربي ولاية نيو مكسيكو في الولايات المتحدة الأمريكية. وتبلغ مساحة مدينة زوني الراهنة 55 كيلومتر ويبلغ عدد سكانها 12000 نسمة 80 بالمئة منهم من قبيلة زوني، و43 بالمئة من سكان هذه المدينة هم تحت خط الفقر (م).

وبسبب عصا كاشنغ السحرية فإن الحكايات الشعبية لأهل زوني قد قدّر لها أن تصبح جزءاً من الأدب الحي في العالم، فهو شاعر على الرغم من أنه لا يكتب الشعر بالمعنى التقليدي للكلمة، ذلك أنه يمتلك القدرة على التفكير كما يفكر مبتدعو الأساطير، ويستطيع الحديث كما يتحدث الأنبياء، وفي وسعه الشرح كما يفعل الكهنة، وتتمتع قصصه بما يبدو أنه جوهر الأدب الشعبي القديم، كما أن تعاطفه مع أساطير الإنسان القبلي لا يحجب عن عقله حقائق العلم.

كانت آلهة زوني، كحال جميع البدائيين، أسلاف الحيوانات القديمة، لذا يتحتم علينا أن نفهم ونقدر من أعماق قلوبنا أفكارهم البسيطة كي نكون عادلين بحقهم. جميع الشخصيات هي حيوانات - بشرية، الوحوش، النباتات، النجوم، الأراضي، المياه والصخور، جميعها لديها أرواح. الأرواح هي كينونات ضبابية قليلة الكثافة، أو كائنات غازية تستوطن أجساداً مادية. إنها جميعاً أشباح تمتلك أجساداً، وباستطاعتها مغادرة هذه الأجساد، وإن اكتشفت كينونات خالية فإن باستطاعتها الاستيلاء عليها. تعود القوة والعقل للأرواح، في حين تنتمي الأشكال الثابتة والوجود الثابت إلى المادة، و معاً تقوم الأجساد والأرواح

بتشكيل العالم. إن الكون عالم من الحيوانات، فالنجوم هي حيوانات مجبرة على الارتحال حول العالم عبر السحر. والنباتات هي حيوانات تخضع للسحر، حتى لا تتمكن من السفر. والمياه هي حيوانات مسحورة. والبحيرات تتلوّى ألماً بسبب الأمواج، والبحر يسافر في دوائر حول الأرض، و الجداول تجري حول الأرض. والجبال والتلال ترتجف بألم، ولكنها لا تستطيع أن تتجول في المكان، وقد يتسنى للصخور والجبال أن تتحرك ليلاً في بعض الأحيان.

انبثقت حيوانات العالم عبر سلسلة لا تنتهي من الأجيال، فكانت الأوائل آلهة تلقّب بالقدماء، أو الأوائل، والأجيال التي تلتها هي نسل الآلهة، ولكنها للأسف منحلة. إن مسرح العالم هو مسرح استحضار الأرواح، والآلهة هي صانعة المعجزات الأولى، تبقى الآلهة على قيد الحياة في حين أن نسلها يموتون، حيث أن الموت نفسه هو نتيجة ممارسة استحضار الأرواح من قبل أناس أشرار أو آلهة غاضبة.

في كل لغة من لغات الهنود الحمر، هناك مصطلح يعبر عن تلك القوى السحرية. فهي لدى القبائل الإيروكويانية[1] تدعى

(1) Iroquian Languages: إحدى لغات سكان أمريكا الأصليين (م).

أوريندا، وتدعى بعض تجلياتها لدى القبائل السيوانية[1] بـ (واكان أو واكاندا) ولكن المصطلح الأصلي في تلك اللغة هو هوبي. وتدعوها قبائل شاوشونيان بـ (بوكونت). ولنقم باستعارة أحد هذه المصطلحات وهو (أوريندا)، إذ تعزى جميع الظواهر التي لا تفسير لها إلى هذه الأوريندا التي تمتلك القدرة على الانتقال من ثعبان إلى سهم وبذلك يصبح السهم مسحوراً. ويمكن للثعبان أن يتمدد إلى جانب السهم ويمكن أداء طقس ما حتى تنتقل الأوريندا من الأفعى إلى السهم، أو قد يتم طبخ الثعبان كحساء من قبل عرافة ما ويغمس السهم في الشراب. لم يساهم إنسان بمفرده في تعميق فهمنا لمعتقدات الأوريندا كما تم الإيمان بها وممارستها من قبل قبائل الهنود الحمر مثلما فعل كاشنغ. وقد قام في منشورات أخرى بمناقشة هذا المعتقد بالتفصيل، وسعى في محاضراته إلى إبراز أشكال ممارسة هذا المعتقد وأدواته، والأواني التي تمارس فيه لها أوريندا (قوى سحرية) خاصة بها تحرّكها.

بينما كان أحد القدماء، أي أحد الآلهة، من الإيروكويان يخطط أنهار الأرض، باستعمال الأوريندا الخاصة به أو قواه السحرية، قرر أن يجعل جميع الجداول تجري نحو الأعلى في جانب من الأرض وتجري إلى الأسفل في الجانب الآخر، ولو

(1) Siouan: لغة أخرى من لغات السكان الأصليين (م).

أنه فعل ذلك لتمكن الإنسان من أن يطوف نحو الأعلى أو نحو الأسفل وفي الحالتين كان سيستطيع الانتقال من جانب إلى جانب آخر، ولكن أخاه الشرير تدخل وجعل جميع الأنهار على كلا الطرفين تجري نحو الأسفل، وهكذا فإن أورويندا (قوة سحرية) يمكن أن تهزم أورويندا (قوة سحرية أخرى).

عالمياً، يعتبر الإنسان القبلي أن الطيور المغردة تمارس أورويندا خاصة بها، وعندما يقوم البشر بالغناء فهم أيضاً يمارسون أورويندا، وهكذا فإن الأغنية تصاحب دوماً طقوس العبادة لدى الهنود الحمر، إذ يعتقدون أنه من الممكن إغراء الآلهة لتمنحهم نعمها عبر إسعادها بالغناء.

ويعزو الإنسان القبلي جميع الأمراض والأوجاع التي تصيب البشر إلى الأورويندا، وجميع الأساطير هي عن نظرية السحر. ومع ذلك فإن العديد من القبائل إن لم تكن جميعها، تعلّم في حكاياتها بعض الطرق لنقل الموت والأمراض إلى العالم، ولكنها الطرق التي تستطيع بواسطتها القوى غير الطبيعية أن تسبب المرض والموت.

يسمى الأنبياء والذين هم أيضاً الكهنة والأطباء (شامان) في الأدب العلمي. ولكنهم غالباً ما يلقبون بالأطباء في الأدب الشعبي. عادةً ما ينضم الشامان إلى طائفة، وغالباً ما يقوم بشرح الهدف من الطقوس التي تقوم بها القبيلة. غالباً ما يجد بعض الأفراد الوحي فينطلقون من أجل دعوة ما، أو يطردون الأمراض، أو يعظون ككهنة. إذا حصلوا على أتباع فقد يستطيعون ممارسة تأثير أكبر ويحصلون على احترام وتوقير كبيرين، ولكنهم إذا فشلوا فإن النظرة إليهم ستتحول تدريجياً من كهنة إلى عرافين وسحرة، وقد يتم اتهامهم بممارسة السحر الأسود وفي الحالات المتطرفة قد يحكم عليهم بالموت. جميع الهنود الحمر يؤمنون بقوة الشامان وبوجود السحر.

وغالباً ما تدعى أساطير الكون بأساطير الخلق، وفي بعض الأحيان جميع الأساطير التي تفسر شيئاً ما، حتى أقلها أهمية، تدعى أساطير الخلق. كل ظاهرة غريبة تمت ملاحظتها من قبل الهنود الحمر لها أسطورة وضعت لتشرح أصلها. قرن الثور، الرقعة الداكنة على ظهر الأرنب، عرف طائر أبو زريق، ذيل غراب العقعق، بريق الحرباء، جلجلة الأفعى، في الحقيقة كل

شيء يستدعي الانتباه يمنح قوة للأسطورة. ولهذا تبدو الحكايات الشعبية للهنود الحمر كأنها لا تنضب، ذلك أنه في كل لغة، وهناك المئات من اللغات، هنالك مجموعة مختلفة من الأساطير.

في جميع هذه اللغات نلاحظ تشابهاً غريباً في النظرة إلى الكون، وهو أنه مكون من مناطق أو عوالم. في موطن القبيلة تجتمع مجموعات من العوالم، واحد في الأعلى والآخر في الأسفل وأربعة أخرى واحد في كل من الجهات الرئيسية، أو ربما نستطيع وصفه بالعالم الرئيسي، العالم العلوي، العالم السفلي، العالم الشمالي، العالم الجنوبي، العالم الشرقي، والعالم الغربي. جميع حيوانات القبيلة، كونها حيوانات بشرية، حيوانات في شكل أشجار، أو ربما في شكل نجوم ومياه (أي الأجسام المائية)، أو حيوانات حجرية (أي الجبال والتلال والوديان والصخور) لها مكانها المناسب في العالم الأعلى، أو في العالم الأسفل أو في أحد عوالم الجهات الأصلية الأربعة، وإن تعايشها في العالم المركزي هو ما يفسر بعض أساطير الارتحال إلى هذا العالم. جميع الأجسام وجميع صفاتها لها منزل أو مكان مناسب للإقامة، حتى ألوان الغيوم وقوس قزح، وجميع الأشياء الأخرى على الأرض موزعة على ست مناطق قدمت منها إلى العالم الأوسط.

وربما نستطيع أن نتفهم بشكل أفضل عادات التفكير هذه إذا نظرنا بعين الاعتبار إلى التراث الشعبي لهذه الحضارة. نحن لدينا ثلاث مناطق رئيسية: الجنة والأرض والجحيم. جميع الأشياء الجيدة تأتي من الجنة، وجميع الأشياء السيئة تأتي من الجحيم. صحيح أن أمثال هذه النظريات الكونية ليست مستحبة عند العلماء. ذلك أن رجلاً متنوراً يفكر في الخير الأخلاقي كحالة عقلية لدى الفرد وميزة من ميزات روحه، ويعتبر الشر الأخلاقي كصفة من صفات الإنسان غير الأخلاقي، ولكن يبقى الأمر عالمياً حتى إن أكثر مفردات الكلام ذكاءً ترمز إلى الجنة على أنها مكان الخير، وإلى الجحيم على أنه مكان الشر. والآن إذا عمدنا إلى توسيع هذا المفهوم كي نحدد أماكن المناطق المناسبة لجميع الأجسام والصفات، سنستطيع فهم النظرية الكونية للهنود الحمر.

إن الدين البدائي لكل قبيلة من قبائل الهنود الحمر هو عبارة عن نظام إغراء للقدماء ليتخذوا دوراً في العلاقات البشرية. وإن عبادة الآلهة هي نظام مصمم لإرضائها، كي يجيروا الأمور لصالح البشر، وخصوصاً لصالح أفراد القبيلة الذين يعبدون هذا الإله. لن يكون الوقت كافياً لأخبركم عن

النشاطات المتعددة في الحياة القبلية والمصممة لهذا الهدف، ولكن يمكن ذكر بعضها. إن أول هذه النشاطات وأكثرها أهمية هي طقوس الرقص والاحتفالات. الغناء والرقص شيء عالمي، والمهرجانات تقام في مواعيد وأماكن محددة من قبل كل قبيلة. تخصص ليالي الشتاء الطويلة للعبادة بشكل كبير، ويتم وضع أسس تسلسل الاحتفالات، حتى تتم إقامتها في المواسم المناسبة لعبادة الآلهة. وبالتالي فإن هناك أياماً احتفالية لمناشدة المطر، وللشكر على النعم وعلى الحصاد التي أتي به إلى المنزل. وفي الأراضي التي تكون فيها الجنادب ضمن الأطعمة الهامة، فهناك احتفالات للجنادب، وحيث الذرة هي من الأطعمة الرئيسية فهناك احتفالات الذرة الخضراء، وعندما يكون للثور دور هام في غذاء القبيلة فهناك رقصات تكرس للثيران. وهكذا، نجد أن هناك مهرجانات أو رقصات مكرسة للدببة أو الظباء، والكثير من المهرجانات الأخرى التي نراها في تنقلنا من قبيلة إلى أخـرى، وجميعها تقام في أوقات محددة توضحها إشارات الفلك. كما نجد لدى القبائل الأعلى تقاويم تفصيلية نستطيع من خلالها أن نحل ألغاز كتاباتهم التصويرية.

إن ممارسة الطب من قبل الشامان هي دعوة توجه للآلهة لإخراج الأرواح الشريرة من المرضى أو إخافتها حتى تغادر. وباستخدام الموسيقى والرقص فهم يحصلون على مساعدة القدماء وبوجود العديد من الطرق والأساليب يقومون بإبعاد الكائنات الشريرة، وهم يلجأون عادة إلى الأضاحي و الكي، خاصة إذا كان المريض يعاني قدراً كبيراً من الآلام الموضعية. وتؤمن جميع قبائل الهنود الحمر إيماناً راسخاً في الإشارات، ويستخدمونها في إعداد التعاويذ كدواء يبعد الأمراض والأشباح التي تؤدي لمرض قومهم.

يلي مزاولة العبادة بالرقص والغناء في الأهمية عبادة الهيكل. ذلك أن الهيكل هو فراغ على الأرض، أو منصة يتم رفعها فوق الأرض أو كيفا (Kiva) أو مقر اجتماع القوم. وحول الهيكل يجتمع الكهنة ومساعدوهم، وهنا تقام الصلوات وتؤدى الطقوس بمساعدة مختلف أنواع قطع الهيكل، خاصة أدوات الكتابة التصويرية على الخشب، والعظام، أو جلود الحيوانات. تتألف قطع الهيكل من تماثيل عن الأشياء التي تقدم من أجلها الأضاحي، سنابل الذرة أو أوعية الطعام، وأباريق مياه، وأجزاء من الحيوانات التي تؤكل، مثل كعك الجنادب، أو أوعية العسل،

أو أي نوع جيد من الأطعمة، ثم البلورات أو أجزاء من الصخور لتوحي بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة قاسية، أو أوعية العسل لتوحي بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة حلوة، أو قد يضعون بعض الذرة متعددة الألوان ليوحوا بأنهم يرغبون في أن تكون الذرة في هذا العام متعددة الألوان. وهذا له أهمية كبرى بالنسبة للطلاب الذين يدرسون الأعراق البشرية فيما يخص نمط الكتابة التصويرية المعروضة حتى الآن في الهياكل. وفي هذا الكثير من التنوع في الأشياء التي قد يرغبون فيها وتنوع أكبر في خصائص وميزات هذه الأشياء والتي تمثلها الصور التوضيحية، أو التماثيل الصلصالية، أو المحفورة في الخشب والعظام. يعود الفن التصويري، مثل الرسم والنحت، في أصوله إلى الإنسان القبلي من خلال تطوير قطع الهيكل. وكذلك فإن التمثيل مأخوذ من العبادة البدائية، ومثلهما فإن الطب الحديث تم تطويره من الشعوذة.

ونجد لدى الهمجيين أسلوباً آخر للعبادة ولكنه أكثر تطوراً لدى البرابرة[1]، ويتمثل بعبادة القرابين. فقد تطورت أجزاء

(1) لعل التميز بين «الهمجيين» و«البرابرة» يعود إلى أن الفئة الأولى هي مجرد فئة بدائية متخلفة عن ركب الحضارة (بنظر الغرب ومقارنة به) أما الفئة الثانية فهي التي تمارس ممارسات وحشية مثل الأضاحي البشرية التي يأتي صاحب المقدمة على ذكرها، لكن يجدر القول إنه خلال القرن المنصرم جرت الكثير من الدراسات التي تؤكد على سبيل المثال أن الهنود الحمر لم يعرفوا ممارسة القرابين، وخاصة البشرية منها، مثلما كان شائعاً عنهم (م).

المذبح والتراتيل المسرحية في المرحلة الدنيا تدريجياً لتصل إلى مرحلة القربان في الحضارات الأعلى، وفيها يفترض بالعباد أن يزودا القدماء أنفسهم بالطعام والشراب ومتع الحياة. وقد بلغت هذه المرحلة أوج تطورها في المكسيك، خاصة في قبائل ناهو أو الأزتيك، حيث كان يتم تقديم البشر كقرابين. وبشكل عام، بين الهنود الحمر لم تكن القرابين فقط ما يقدم إلى الهيكل بل كذلك الطعام والشراب الذي يستخدمونه. وهكذا نرى أن المجموعة الأولى من الأشياء المصممة للاستهلاك تم تخصيصها للآلهة. وهناك في قارة أمريكا العديد من الأمثلة عن هذه الأديان الوثنية، والتي أثرت بشكل ما في المعتقدات وفي العبادات المشتقة من الدين الذي له أصول مسيحية.

في التاريخ المبكر لعلاقة الرجال البيض مع قبيلة سينيكا في نيويورك وبنسلفانيا، كان لدى القبيلة شامان محترم يدعى «البحيرة الجميلة»، كما تُرجم اسمه إلى الإنجليزية. كان لدى هذا الشامان ابن أخ أخذه الإسبان إلى أوروبا وعلموه ليكون قساً. وعندما عاد ابن الأخ إلى أمريكا قص على عمه الكثير من قصص الكتاب المقدّس، إلا انه سرعان ما عاد إلى وثنيته، وقام العم بدمج بعض هذه القصص في القصص الشعبية لقبيلة سينيكا،

ومن خلال فصاحته وتأثيره الكبير كشامان نجح في تأسيس نهج جديد في قبيلة السينيكا كمذهب وعبادة. وهذه القبيلة الآن تنقسم إلى هيئتين متميزتين تعيشان معاً ضمن محمية واحدة، يشكل المسيحيون إحداهما ويشكل الوثنيون القسم الآخر، وهم يؤمنون بمذهب «البحيرة الجميلة» ويدرسونه.

قدّم السيد كاشنغ حكاية هجينة ضمن مجموعته، عنوانها «الديك والفأر» ويمكن أن نجد مثل هذه الحكايات كثيراً بين الهنود الحمر. في العديد من الحالات سنرى أن القصص المستوحاة من الكتاب المقدّس قد اندمجت مع القصص الأصلية، وبذلك قد ينقاد الغافلون للاعتقاد أن الهنود الحمر هم سلالة القبائل العبرانية الضائعة.

ج. و. بويل[1]

مدينة واشنطن

تشرين الثاني 1901

(1) جون ويسلي باول (1834–1902): مستكشف أمريكي (م).

انتقام الأخوين من سكان هاويكوكوي، أو الصبيان الصغيران[1] وديوكهما الرومية

(أصل الكهنة وقادة رقصة النصر)

في الزمن الموغل في القدم، عاش في جبل التوأم، آهايوتو وأخوه الأصغر، مع جدتهما. كانا يملكان قطيعاً كبيراً من الديوك الرومية التي يحبانها كثيراً، إلا أنهما لم يقدما لها العناية الكافية. وفي الصباح المتأخر لأحد الأيام، قالت الجدة للصبيين: «أطلقا الديوك الرومية، تلك الطيور المسكينة، فإنها ستتضور جوعاً ما لم تتجول أكثر في الخارج».

قال الصبيان اللذان لم تكن لديهما في معظم الأوقات الرغبة في إخراج الديوك: «لكنها ستفرّ بعيداً يا جدتي».

سألت الجدة مغتاظة: «لَمِ تظنان أنها ستهرب؟» فقد كانت تمضي الوقت الشاق في تربية هذين الصبيين الطائشين ، احرصا على تعود في وقت المبيت، فتلك هي عادتها».

(1) إشارة إلى أخوي الحرب أهايوتو وماتسيليما الوارد ذكرهما في حكايات أخرى بوصفهما قصيري القامة دميمين (كاشنغ).

وهكذا أخرج التوأمان الديوك الرومية على مضض. كانت الديوك الرومية مجرد دجاجات هرمة قذرة، وفراخ هادئة طويلة الأرجل، وديوك مسنة صاخبة؛ لكنها ازدادت صخباً عندما أصبحت في الخارج، ولم يمض وقت طويل قبل أن تشرد بعيداً خلف حدود الغابة باتجاه هاويكوكوي.

وبعد أن حل وقت الظهيرة بقليل، تجولت الديوك الرومية، وهي تكركر، في الوادي شمالي هاويكوكوي حيث يملك العديد من سكان القرية حقولاً من الذرة. ثم سمع بعض الشبان الذين جلسوا ليستريحوا من عزق الأرض، أصوات الديوك الرومية، وعندما نظروا شاهدوا الأعداد الهائلة منها التي لم يعتادوا قط رؤيتها في قطيع واحد. وبالطبع مسهم الجنون، فركضوا بأقصى سرعتهم باتجاه القرية، وأخذوا يخبرون الجميع عن اكتشافهم، فبدأ الناس بالتجمع. وما إن تجمع الكل في القرية، حتى أرسلوا في طلب الكهنة وأخبروهم بما اكتشفوه.

ركض الكهنة بسرعة إلى سطوح المنازل، وبدأوا في مناداة الأهالي: «سنتصرف بحكمة اليوم، فقد أخبرنا أبناؤنا بأن هناك العديد من الديوك الرومية في الوادي؛ لذا أسرعوا وأحضروا

بعض السهام والأقواس والفخاخ والحبال، فستسعدون بتلك الديوك وتضيفونها إلى قطعانكم وتضعون في علب الريش خاصتكم ريشاً أكثر تنوعاً».

بعد وقت قصير جداً، بدأ الناس يندفعون من منازلهم وهم متهيئون للمطاردة، ولحقوا مسرعين بالشبان والقادة كأنهم في سباق.

كانت الأعشاب، وخاصة الميرمية، قد نمت كثيراً في الوادي شمالي هاويكوكوي. وكانت الديوك الرومية المسكينة تلاحق الجنادب وتنظر وتكركر، فلم تعلم أن سكان هاويكوكوي يركضون في إثرها، إلى أن سمعت أصوات بعض الدجاجات المسنة تنذر بهجوم مباغت من الخلف. ولكن الأوان كان قد فات على الهروب، فقد طوقها الناس صارخين، ثم بدأوا بإطلاق سهامهم الحادة عليها في كافة الاتجاهات بعد أن طرحوا عصيهم جانباً. وسرعان ما بدأت الديوك تسقط يمنة ويسرة، خاصة ذوات الأرجل الطويلة التي علقت أرجلها بالأعشاب فلم تستطع أن تحافظ على نفسها واقفة مع أمهاتها، لذلك فقد كانت فريسة سهلة لصيادي هاويكوكوي؛ أما الدجاجات التي بقيت في الخلف لتعتني بالفراخ فلم يكن مصيرها بأفضل من

مصير فراخها، كما لاقت الديوك التي بقيت في الخلف لتعتني بالدجاجات المسنة مصيراً أشد سوءاً، فقد كانت مرغوبة أكثر بسبب ريشها الأكثر زهواً.

وهكذا، وخلال وقت قصير قتل أكثر من نصف القطيع، وبينما كان بعضها الآخر لا يزال يتهاوى ركض فرخ ذو أرجل متوسطة الطول بأقصى سرعته متوجهاً إلى جبل التوأم.

حين بدأ الظلام يخيم تدريجياً، وقف آهايوتو وأخوه الأصغر وجدتهما على سطح منزلهم وهم ينتظرون عـودة الديوك الرومية، ثم شاهدوا الفرخ الوحيد قادماً يجرّ جناحيه منقطع الأنفاس.

قال الأخ الأصغر: «ها! انظر! فرخ صغير قادم، ماذا يقصد بصراخه؟ اركض يا أخي، اركض! هل تسمع ذلك؟ ».

صاح الفرخ: «كارثة فظيعة! كارثة فظيعة!»، وعندها استطاعوا سماعه، ولعلكم تظنون أنهما ذعرا؛ ولكنهما لم يكونا مذعورَين بقدر ما كانت الجدة العجوز، فقال أحدهما للآخر: «ليس هذا إلا مجرد فرخ صغير على أي حال، إنها دائماً تخاف أكثر مما تفعل الديوك الكبيرة».

وعلى الرغم من ذلك، أسرعا إلى الأسفل لملاقاته، وعندما رأيا مدى رعبه، انتظراه بقلق حتى التقط أنفاسه وحين هدأ سألاه: «ما الأمر؟ لماذا جئت وحيداً وأنت تصرخ `كارثة، كارثة`؟».

هتف الديك الرومي: «واحسرتاه! أهلي، لقد بقيت وحدي حياً لكي أخبر عما حدث؛ فقبل أن أغادر كان الجميع قد ارتموا على الأرض حولي».

سأل الصبيان بغضب: «من فعل هذا؟».

هتف الفرخ ملتفتاً حوله بقلق: «سكان هاويكوكوي».

هتف الصبيان أحدهما للآخر: «ها! علينا أن نثأر لخسارتنا»، ثم التفتا إلى الديك الرومي وسألاه: «هل قتل الجميع؟».

ندب الفرخ قائلاً: «نعم، يا للأسف! نعم، لم ينج أحد سواي».

تدخل الأخ الأكبر قائلاً: «لا! بل سيعود الكثير منهم، فإذا استطاع هذا الفرخ النجاة، فالبقية ستكون قادرة على النجاة أيضاً». وبعد قليل سمعا بعض الديوك الرومية فوق التلال تكركر منادية بعضها بعضاً مقطوعة الأنفاس. فهتف آهايوتو: «ألم أقل لك!» ثم انطلقا باتجاه الجبل.

قدمت الديوك الرومية واحداً تلو الآخر أو في مجموعات صغيرة، هاربة، مرهقة وقـذرة؛ لكن في النهاية لم يعد سوى القليل منها، فعرف الصبيان عندها، أن الفرخ لم يأت مرعوباً من لا شيء. ثم التجأت الطيور إلى بيتها. وجلس الأخوان هناك ليتناولا الطعام مع جدتهما، وحين فرغا، قاما بدس بعض الأعواد في النار المشتعلة في الموقد، وصاحا لجدتهما قائلين: «غداً، يا جدتي، سنجمع حزمة من الأعواد»[1].

صرخت الجدة العجوز: «أحمقان، صبيان أحمقان!».

قال الصبيان: «حسناً، سنجمع غداً بعض النبتات الفتية. أين تنمو الفروع الأغلظ والأكثر استقامة يا جدتي؟».

ردت الجدة بشكل حاسم: «أيها الولدان، من الأفضل أن تنسيا أمر الفروع الفتية والحرب».

صاح الصبيان بحدة: «لكن علينا أن نثأر لخسارتنا»، فما كان من العجوز إلا أن هزت رأسها وهتفت: «يا لطبعكما! أنتما مخلوقان غريبان يا حفيدي، كلاكما!» بينما لكز أحد التوأمين الآخر وضحكا.

(1) إشارة إلى صنع السهام استعداداً للحرب (م).

ثم أضافت الجدة: «لقد حذرتكما؛ فاعملا ما تريدان الآن»؛ فنظر التوأمان إليها كأنها لا تعلم حقاً عمّ تتكلم. فتابعت: «حسناً أيها المحاربان، يا من لا يعلمان أين يبحثان عن عيدان السهام! لكن إن أردتما الذهاب لجمع الفروع الفتية، فهناك الكثير منها في حوض بحيرة المطر، كما ينمو المزيد منها شمالاً على سلسلة التلال المدرجة، وفوق في وادي البلوط ستجدان فروع البلوط الفتية الجيدة، وبكمية أكبر مما يقوى عشرة فتيان على حمله، وحول الجبل العظيم فوق هناك أنواع أخرى، حيث تنمو هذه الفروع بوفرة وفي كل مكان لو لم يكن أولئك الناس وحوشاً؛ ماذا بعد.. يمكنني أن أخبركما شيئاً لفائدتكما إذا كنتما تستمعان لجدتكما العجوز، لكن..».

قاطعها الصبيان بحماسة كأنهما لا يعرفان عمّ ستتحدث: «ما هو؟ ما هو؟».

تابعت الجدة: «هناك بجانب حوض بحيرة المطر، يعيش جدكما..».

قاطعها الصبيان ثانية: «من هو؟ من هو؟».

قالت: «لدي رغبة في ألا أخبركما بأي كلمة أخرى أيها الوحشان الصغيران عديمي الحياء»، ارتعشت العجوز وهي تمتص شفتيها كما تمتص نخاع عظام الطرائد، واستمرت في تحريك الحلوى على الرغم من أنها نضجت كفاية وحان أوان تناولها، ثم أضافت: «مع أنني لم أخبركما بهذا في وقت مبكر، إلا أنه يمكن لأي كان عدا الوحوش الصغيرة أن يعرف جده، إنه دودة قوس قزح بالطبع!».

أصر الصبيان بالسؤال: «دودة قوس قزح هي جدنا، حقاً!»؛ وكلما زادا في الكلام أكثر عمدت العجوز إلى الصمت، ولكي تسكتهما، رفعت عصا تحريك الحلوى أمام وجهيهما وأمرتهما: «صمتاً» فهدأا، ثم تابعت: «نعم، جدكما، ويا للعار! يمكنكما الجلوس هناك والقهقهة كما ترغبان، لكن جدكما، دودة قوس قزح، محارب عظيم، وإذا أردتما الذهاب لجمع الفروع الفتية، فلن تظفرا بأي منها ما لم تصلا إليه ليساعدكما، هذا كل شيء!».

أجاب الصبيان بكل احترام: «صحيح».

تابعت الجدة: «نعم، وعلاوة على ذلك، هناك خلف حدود الغابة، في بحيرة، يوجد جدكما الآخر، وهو محارب عظيم أيضاً».

هتف الصبيان مندهشين: «حقاً!».

قالت: «نعم، وعليكما أن تذهبا لرؤيته أيضاً؛ فلا يمكنكما أن تحققا نصراً من دونه أيضاً. اخلدا الآن إلى النوم أيها الولدان، فستحتاجان إلى النهوض مبكراً جداً في الصباح، وعليكما أن تنزلا أسفل الطريق ومباشرة فوق التلال الصغيرة إلى حيث يعيش جداكما، ولا تذهبا إلى الوادي الرئيسي لجمع العيدان، فإذا فعلتما فسوف تنسيان كل مل أخبرتكما به. إنكما مخلوقان يتجاوزان مستوى الفهم، فأنتما الاثنان حفيدان لي».

وهكذا، استلقى الصبيان معاً في الزاوية تحت غطاء واحد، مثل رجل وزوجته، فهما لم يناما يوماً منفصلين كباقي الصبية. ولكن، ظل هذان الصبيان الشقيان يقهقهان ويركل أحدهما الآخر، ويتقلبان كأنهما لم يحلما بالصباح قط. ثم انخرطا في الشجار حول من يمكنه أن يدور أسرع من الآخر.

قال الأخ الأكبر: «أنا أستطيع».

رد الأصغر: «أنت لا تستطيع، أنا أستطيع! لا، أنت لا تستطيع!».

قال الأكبر: «بل أستطيع، وسأريك»؛ وكان على وشك أن

يستجمع قواه للمحاولة عندما دخلت الجدة العجوز ووقفت حاملة عصا تحريك الحلوى، ثم رفعتها في الهواء، بجملتها المعتادة: «يا لطبعكما! يا حفيدي الاثنين»، وعندها هدآ وتظاهرا بالنوم؛ لكنهما ظلا يقهقهان ويحاولان سحب الغطاء عن واحدهما الآخر.

فصرخت المرأة العجوز غاضبة: «أوقفا هذه الحماقات وناما أيها الشقيان!» ؛ فضحكا دون تحفظ على جدتهما المسكينة، ثم طوق أحدهما الآخر بذراعيه واستغرقا في النوم.

حين أشرقت شمس الصباح التالي، ووصلت أشعتها إلى ما فوق الجبل، كان الصبيان ما زالا نائمين. فخرجت الجدة العجوز لتسقي نباتات حديقتها، ثم وقفت على سطح المنزل واضعة يدها على جبينها لتشاهد الطريق الذي طلبت من الصبية اتباعه، وتراهما عندما يغادران الظل.

بعد أن كانت قد أنهكت عينيها المسكينتين حتى دمعتا، خرجت عن طورها فقالت: «لم أرَ قط مثل هذين الصبيين! لقد احتالا علي ورحلا مرة أخرى. يوماً ما سيندمان على مزاحهما». ثم فكرت أن تنزل للأسفل وتحضر بعض العصيدة من أجل الإفطار. وبينما تنزل السلم، سمعت شخيراً مرتفعاً.

فأسرعت عبر الغرفة وأخذت تهز الصبيين بقوة هاتفة: «انهضا، انهضا! أيها المخلوقان الكسولان؛ يا جامعي العيدان البارعين، أنتما!».

تدحرج الصبيان وفركا أعينهما، وبدآ بالتمطي.

كررت الجدة وهي تهزهما ثانية: «انهضا، انهضا! لقد أصبحت الشمس دافئة منذ مدة طويلة؛ هيا أيها المحاربان المحنكان، هيا!».

نهض الصبيان وتمطيا وتثاءبا ثم فركا أعينهما ومدا رأسيهما- كانا أقذر ولدين يمكن رؤيتهما-فقد كانت أذرعهما مغطاة بالأوساخ، وكان شعراهما مشعثين مثل نبتة اللبن البرية بعد عاصفة مطرية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هذين الصبيين أجمل ولدين في الوجود، غير أنهما كانا يسخران من جدتهما العجوز، كما ترون.

تذمرت المرأة العجوز: «الأفضل لكما أن تنزلا إلى الينبوع وتغسلا عيونكما عند الشروق، بدلاً من أن تحكا رأسيكما هنا بينما تشع الشمس من كوة السقف».

صرخ الصبيان: «ماذا! هل أشرقت الشمس؟» مع أنهما كانا يعلمان كم هو الوقت.

«نعم، لقد أشرقت! بإمكانكما أيها الصبيان أن تناما مرة أخرى. يمكنكما أن تحصلا اليوم على حزمة جيدة من الأعواد، حين تكون الشمس قد أشرقت».

فتظاهر الصبيان بأنهما على عجلة من أمرهما، وانتزعا قوسيهما وجعبتي السهام، ولم يتوقفا لارتداء ثوبيهما ولم ينتبها أيضاً أن المرأة العجوز عرضت عليهما الطعام، وقبل أن تصعد العجوز السلم كانا يقفزان أسفل الجروف مثل عنزتين جبليتين.

هتفت الجدة: «يا لهذين الشيطانين اللذين يجلبان تعب البال!»، ثم صعدت إلى السطح وظلت تراقب وتراقب؛ لكن الصبيين كانا يحبان كثيراً أن يسببا القلق لجدتهما، فركضا أعلى الجبل الرئيسي إلى الغابة وعبراها إلى حوض بحيرة المطر، تاركين العجوز تنظر كما تريد.

تأوهت العجوز: «آه! إنهما هناك يلعبان بين الصخور. يا لهما من محاربين محنكين!» ثم عادت لتتابع إعداد الطعام.

وشيئاً فشيئاً وصل الصبيان إلى قمة الحوض حيث تنمو البازلاء. وبالتأكيد، كانت دودة قوس قزح هناك تأكل الأوراق الخضراء كأنها تتضور جوعاً، كانت كبيرة بدينة بحجم الصبيين

أنفسهما؛ فقد كانت الدودة في قديم الأزمان أكبر بكثير مما هي عليه الآن.

قال الأخ الأصغر: «انتظر، دعنا نخيف هذا الشيخ».

وهكذا تسللا للأعلى حتى أصبحا قريبين من الجد، ثم بدأا يدغدغانه بقشة. شد أميويلي—هكذا كان اسمه—جلده بسرعة وعض على الأوراق، حتى صرخ آهايوتو بأعلى صوته، مما جعل الشيخ يقفز ويستدير بسرعة حتى كاد أن يكسر عظمة ظهره.

هتف الجد: «آه! إنهما حفيداي، أليس كذلك؟ أنا طاعن في السن، وسمعي خفيف، وقد أفزعتماني يا ولدي».

قال الصبيان: «هل أخفناك يا جدي؟ هذا سيئ جداً. حسناً، لا عليك، فقد جئنا إليك لأخذ النصح».

قال الجد: «ماذا تريدان يا حفيدي؟»، وهو يحدق بهما بعينيه الصفراوين، فقد كان حكيماً جداً، وقد استند على ذيله ورأسه كأنهما قدمان.

قال الصبيان: «لقد كان لدينا سرب من الديوك الرومية، وقد أخرجناها البارحة حتى تأكل، لكن الطيور الحمقاء اقتربت كثيراً

من هاويكوكوي فقتل السكان العديد منها؛ لذلك قررنا أن ننتقم من فعلتهم هذه، فهم وحوش وقحون!».

هتف آميويلي العجوز: «آها! حسن جداً!» ثم استلقى على بطنه ورفع رأسه مثل رجل يتكئ على كوعيه. قال وهو يغمض عينيه قليلاً ويهز رأسه: «آها! حسن جداً! سأريهما أن حفيديّ لا يعاملان بهذه الطريقة. أنا محارب، ولدي الكثير من الحيل عندما أغضب، الآن يمكنكما أن تعرفا! لقد خلقت لكي أستنفد الحياة»، ثم هز رأسه مرة أخرى.

قال ماتسيليما: «استمع إلى ذلك!».

ثم أضاف الشيخ مؤكداً: «لنستنفد الحياة، هذا ما أنا مكرس لأجله، سوف ألقن سكان هاويكوكوي درساً قاسياً!».

ثم سأل الصبيان: «هلا أتيتما إلى المجلس؟».

وقال: «سألحق بكما».

فوثب الصبيان بخفة إلى البركة على أطراف الغابة. وهناك، كان يمكث جدهما الشيخ، السلحفاة، بعينيه المحدقتين،

متخبطاً في المستنقع، يمد عنقه الطويلة ليقضم رؤوس أوراق قصب الماء.

قال الصبيان أحدهما للآخر: «دعنا نمرح قليلاً مع الشيخ ذي الدرع». ثم قال ماتسيليما وهو يهيئ سهماً ويشده على الوتر حتى الرأس: «انتظر قليلاً يا أخي الأكبر»، ثم أطلق السهم فأصاب ظهر السلحفاة؛ وعلى الرغم من أنه كان من السلاحف العملاقة التي قلما نجدها في يومنا هذا، إلا أن قوة الضربة والخوف الذي سببته أوقعاه في مياه المستنقع مثل قشة صغيرة، وحين خرج كانت عيناه لزجتين واللعاب يملأ فمه، وكانت رجلاه تتحركان مسرعتين أكثر مما قد يتصور المرء. حين لمح الصبيين، أمطرهما بوابل من الشتائم، أقسى من تلك التي كانت تطلقها الجدة عليهما، لكنهما بالكاد سمعاه، لأن سهمهما ارتد عن ظهره وعاد ليطير نحوهما مستقيماً، فكان عليهما أن يفرا للنجاة بروحيهما. صاح السلحفاة: «سحقاً! يا لهما من وحشين صغيرين مثيرين للمتاعب، لا بد أنهما لم يسمعا قط بالحياء والكرامة!».

قال الصبيان: «لا تغضب منا يا جدي، لابد من أنك أصم، فقد نادينا ونادينا، لكنك لم تفعل سوى التخبط هنا وهناك وأكل

قصب الماء؛ لذا فكرنا أن نطلق عليك سهماً، لأننا كما ترى لم نستطع الوصول إليك».

رد السلحفاة الجد بينما رفع رأسه باتجاههم ودفع مياه المستنقع بذيله: «آه، هكذا إذن! حسناً، ما الذي يريده حفيداي حتى قدما لرؤيتي؟ فلابد من أن هناك سبباً ما».

«هذا صحيح تماماً يا جدي؛ لقد خرجنا لجمع العيدان الفتية، وجئنا إلى جدنا نلتمس النصح منه».

تساءل الجد ذو الدرع: «ماذا هنالك؟».

«كما تعلم، لدينا قطيع من الديوك الرومية...».

قاطعهما الشيخ: «نعم أعلم، فقد جاءت إلى هنا في الأمس كي تشرب فقطعت غفوتي الصباحية بأصوات كركرتها».

استأنف الصبية: «حسن، ذهبت باتجاه سكان هاويكوكوي، لكن المتوحشين الوقحين، خرجوا وقتلوا كامل القطيع تقريباً، ونحن ذاهبان للانتقام منهم؛ ولهذا جئنا لجمع العيدان الفتية».

صاح الشيخ مقترباً من الضفة: «آها! جيد! هذا عادل يا حفيدي؛ لقد أثبتما أنكما صبيان حكيمان بقدومكما إلي.

فأنا محارب عظيم، ومع أنني لا أملك قوساً ولا سهاماً، لكن كلما كثرت سهام أعدائي، كان الأمر أسوأ لهم، هذا كل شيء. عليكما أن تنتظرا حتى الغد»، ثم مد رأسه للخارج فبدا وكأنه يخبئ أفعى في ترسه.

سأل الصبيان: «هل ستساعدنا؟» (كانا يعرفان تماماً أنه سيفعل).

«طبعاً، يا حفيدي».

«هل ستأتي إلى المجلس؟».

قال العجوز: «طبعاً يا حفيدي. كم عدد الذين سيكونون هناك؟».

رد الصبيان متغامزين: «سيكون البيت ممتلئاً مثل معدة متخمة بالطعام».

قال السلحفاة إيتاوا بصوت أجش: «هذا مشوّق!».

وهكذا انطلق الصبيان نحو وادي غابة البلوط ووصلا، وعلى الفور جمعا حزمة ضخمة من الفروع التي قطعاها بخنجريهما المصنوعتين من حجر الصوان، وأربعة قضبان قوية

جافة من شجر البلوط. وحملاها على أكتافهما وانطلقا عائدين إلى البيت، وعلى الرغم من أن الحزم كانت كبيرة بما فيه الكفاية لكي تغطي قامتيهما، إلا أنهما هرولا كأنهما لا يحملان شيئاً. وفي طريق العودة التقطا الكثير من الزجاج البركاني، وذهبا بسرعة كبيرة حتى اقتربا من البيت، ثم غلبهما التعب الشديد... حتى أشفقت جدتهما عليهما حين لمحتهما، فأسرعت للأسفل لكي تعد لهما بعض العصيدة. كما دست بعض كعكات الذرة في الرماد أيضاً وشوت القليل من لحم كلاب المروج بالطريقة ذاتها؛ وحين جاء هذان الوغدان الكاذبان وقد بدا عليهما التعب الشديد، أسرعت الجدة وجهّزت لهما الطعام وقد جعل ذلك العمل الشاق أعصابها مشدودة ومتوترة.

بعد أن تناول الصبيان قدر ما يستطيعان من الطعام وقضما بعض عظام كلاب المروج، انهمكا في كسر الفروع التي جمعاها، وسرعان ما كانا قد أنهيا كل الكمية المطلوبة. ثم قاما بتقويمها بتمريرها عبر قرون صلبة ووضعاها بالقرب من النار. بينما كانت الرماح تجف، كسرا الزجاج البركاني ووضعا رقاقات منه على حجر مغطى بجلد الغزال، وبسرعة شكلاها بهيئة رؤوس سهام حادة وجعلا أطرافها من معدن آخر، ثم ثبتاها إلى نهايات

الرماح واضعين بضعاً من ريش النسر في النهايات الأخرى، حتى كانا قد صنعا ما يكفي لأربع حزمات كبيرة. ثم صنعا قوساً من كل من قضبان البلوط الأربعة، وأوقفاها بجانب الجدار حتى تجف.

عندما حل الظلام، سمعا صوتاً كحفيف ورقة جافة في ريح خفيفة.

قال أحدهما للآخر: «آه! إن جدنا قادم»؛ وبالتأكيد أقحم آميويلي عينيه الصفراوين في الباب، لكنه انسحب فجأة.

قال: «يا للآلهة! إن ناركما مرعبة؛ إنها تخيفني!».

هتف الصبيان: «جاء الجد! ادخل؛ اجلس».

قال الدودة العجوز وهو يزحف خلف الصبيين في الزاوية الأكثر ظلمة: «آه، هذا حسن! أنتما تصنعان الرماح، أليس كذلك؟».

ردا: «نعم، لِمَ لا تخرج إلى الضوء يا جدنا؟».

قال الجد: «آه! أنا أخاف الضوء، فهو يؤذي عينيّ، إنه كالشمس بعد عاصفة مطرية حين لا يكون لدي أي أوراق لأزحف عليها».

قال الصبية: «لا بأس، ابسطي له بساطاً في الزاوية يا جدتي». ثم انشغلا في تقويم بعض السهام وتجريب أقواسهما. وحين شرعا في سحب أحدها إلى المدخل، سمعا صوت إيتاوا الغليظ، وفي الحال صاح العجوز: «انتظر؛ لا تضربني بإحدى عصيك تلك؛ فإنها تسبب ارتجاجاً مزعجاً!».

قال الصبيان: «أوه، هذا أنت يا جدي، أليس كذلك؟ حسناً، إننا فقط نجرب أقواسنا الجديدة؛ ادخل واجلس». فدخل الشيخ واتخذ له مكاناً قرب النار، فلم يكن يبالي فيما إذا كان الجو حاراً أم بارداً.

سأل وهو يهز رأسه هنا وهناك: «هل أنتم أعضاء المجلس؟».

قال الصبيان: «بالتأكيد، والآن وقد امتلأ المجلس فمن الأفضل أن نباشر في النقاش حول ما علينا فعله».

حين اكتشف السلحفاة الشيخ أن الصبيين يعبثان معه، شعر بالغيظ، لكنه لم يظهر ذلك.

سأل: «آميويلي هنا؟ جيد! نحن الأربعة سنلقن سكان هاويكوكوي درساً لن ينسوه!».

تكلم دودة قوس قزح بصوت أجش: «نعم، حقاً!».

قال الصبيان: «في فجر الغد، قبل شروق الشمس، علينا أن ننطلق إلى بلدة هاويكوكوي».

أجاب آميويلي: «حسناً، تعالا إلى بيتي أولاً وأعلماني بموعد انطلاقكما».

ثم أضاف إيتاوا: «ثم تعالا أيضاً إلى منزلي حتى أعلم متى انطلقتما. حين تصلان إلى هاويكوكوي وتنبهان سكانها للخطر، وإذا كان عددهم أكثر مما تستطيعان مواجهته، فعودا إلى منزلي بأقصى سرعتكما، وأنت يا ماتسيليما، ستأخذني على ظهرك. ثم تجريان كلاكما إلى بيت جدكما الآخر. سأري سكان هاويكوكوي أولئك أن بإمكاني أن أهدر حياتهم، حتى لو لم أملك سهاماً أطلقها عليهم».

ثم أضاف دودة قوس قزح: «نعم، وحين تأتيان إلى منزلي، عليكما فقط أن تمرا بي سأهتم ببقيتهم. لقد خلقت لأستنفد الحياة»، وهز رأسه.

ثم تفاخر السلحفاة الشيخ: «وأنا أيضاً. تعال الآن يا أخي، دعنا نذهب فأمامنا طريق طويلة، وأرجلنا قصيرة». وهكذا، رحل الاثنان بعد تناول الطعام.

ما إن رحل الاثنان، حتى ملأ الصبيان جعبتيهما بالسهام، وطرحا ترسي الماء[1] على الأرض خارجاً. ثم لاذا بركنيهما ليستريحا وسرعان ما غفوا وبدأا يشخران؛ فذهبت جدتهما إلى حجرة أخرى وأحضرت إناء جديداً ملأته بالماء. ثم عادت مرة أخرى إلى الحجرة، وحين خرجت كانت مرتدية عباءات وتنانير جميلة مطرزة ومزينة بالحلي النفيسة من الأصداف والفيروز.

أيقظت الضجة التي أحدثتها الجدة آهايوتو، الذي لكم أخاه الأصغر قائلاً: «انهض، انهض! إن جدتنا تلبس ثياباً كأنها ذاهبة بها إلى رقصة ما!».

ثم رفع الأخ الأصغر صوته في همسة حادة: «لماذا؟» (لقد عرفا تماماً ما الذي كانت جدتهما تنوي فعله).

قالت العجوز ملتفتة نحو السرير: «ناما أنتما! ما الذي يقلقكما الآن أيها المتوحشان الصغيران؟ يا للعار! تتظاهران أنكما ذاهبان إلى الحرب غداً!».

تجرأ الأخ الأصغر على سؤالها: «لماذا ترتدين هذه الثياب يا جدتي؟».

---

(1) «كيالان» أو ترس الماء، يتمثل في الأزمنة الحديثة بقرص دائري من القطن في وسطه ريشة كبيرة، وهذا الترس بالإضافة إلى استعمال الصبيين سهام الرعد في حكاية أخرى لا يدع مجالاً للشك بأنهما كانتا خرافيان يمثلان الظواهر الطبيعية (كاشنغ).

قالت الجدة: «لماذا علي أن أرتدي ثيابي إن لم يكن من أجل صنع الدواء لكما؟ الآن، انتبها، عليكما ألا تراقباني. سأصنع الدواء وأضعه في أنابيب القصب هذه، وعليكما أن تطلقاها في منتصف ساحة هاويكوكوي حالما تصلان إلى هناك. إن هذا سيجعل الناس كالنساء؛ فالأنابيب ستتحطم وسيتطاير الدواء في المكان كالضباب، وحين يبتل جلد أحدهم بهذا الضباب، فلن يعود محارباً أكثر منه امرأة. الآن، ناما أيها المزعجان!».

لكن الصبيان لم ينويا النوم. وطبعاً، مدا جسديهما ووضعا ذراعيهما على أعينهما بخبث. فلم تلاحظ الجدة العجوز هذا في البداية. وبدأت تغسل ذراعيها في إناء من المياه. ثم فركتها بشدة بمادة تدعى «جوهر الجسد» التي كانت مثل كرات من قطع صغيرة مغمورة بالماء. وحين بدأت تخلطها بحذر بالماء، هتف آهايوتو للآخر قائلاً: «يا أخي الأصغر، انظر! إن ذراعي الجدة العجوز تبدوان صافيتين كذراعي فتاة شابة. انظر، انظر!» فبدأ الآخر يقهقه؛ لكن حين التفتت الجدة لتوجه لهما الكلام القاسي، استدار هذان الوغدان بطاعة مفتعلة كما لو كانا لم يمزحا قط مع جدتهما العجوز. واستغرقا في النوم على الفور.

ثم بدأت الجدة بتعبئة القصبات بالسائل، وثبتتها في نهايتي سهمين. وهتفت بتلهف: «ها هي!»؛ وبعد أن تلت تعويذة على القصبات، ألقت بعض الطعام بالقرب من الولدين وغادرت الحجرة بكل هدوء ذاهبة إلى النوم.

نسي الصبيان ما كان عليهما فعله في الصباح، فناما بهدوء حتى طلوع الفجر، حين استيقظا وأخذا أقواسهما وجعبتيهما وخنجريهما وهراوتيهما الحربيتين، وسهامهما وترسيهما المائيين، ثم انسلا خارجين بهدوء.

ولم يمض وقت طويل قبل أن يصلا إلى منزل آميويلي. كان يلتهم أوراق النباتات السحلية التي استطاع أن يقف عليها، وبدا ممتلئاً جداً حتى شعر- بدون شك- كأنه كرة. كان منغمساً في مضغ الأوراق حتى إنه لم ينظر إلى الصبيين مع أن الضوء كان كافياً.

سألاه: «كيف حال جدنا هذا الصباح؟».

قال الجد مخرجاً كلماته من بين المضغات: «امضيا!»، فأسرع الولدان.

وعلى الفور وصلا إلى بيت السلحفاة. الذي كان أكثر ترويا

من الجد الدودة. فقال لهما: «ستعودان عند ارتفاع الشمس في السماء، تذكرا ما أخبرتكما به الليلة الماضية. سأنتظركما هنا عند الضفة».

ضحك الصبيان قائلين: «حسن جداً»، لأنهما لم يباليا كثيراً لكونهما على وشك البدء بالحرب.

شيئاً فشيئاً اقتربا من بلدة هاويكوكوي. كانت نجمة الصبح عالية. جلس الصبيان لبرهة وأنشدا تعويذة لا تزال تتلى هناك حتى يومنا هذا. ثم ركض الأخ الأصغر حول البلدة ليستكشفها. كان هناك رجلان أو ثلاثة مستيقظين فحسب، كما رأى، فقد كان الجميع نياماً على سطوح المنازل لأن الجو كان حاراً جداً.

ثم صاح بأعلى صوته: «فظيع!» وبينما كان الناس ينهضون، سحب أحد السهام ذات الرأس القصبي وشده على قوسه حتى آخر المسافة وأطلقه مستقيماً وعالياً فشق الهواء حتى منتصف الساحة، حيث شق القصبة مبعثراً المياه التي تحوي الدواء في كل اتجاه، مما جعل الناس جميعاً يهتفون وهم يفركون أعينهم: «آه! إنها تمطر، مع أن السماء صافية ولم يصرخ أحد أن هناك مقتلة تحدث».

حين انطلق سهم آهايوتو، بعثر المزيد من المياه التي تحوي الدواء حولهم، حتى ظنوا أنهم يحلمون بالمطر؛ لكن بعد ذلك صرخ ماتسيليما: «هوو! فظيع!» مرة أخرى، فبدأ الجميع يفتشون عن أقواسهم وسهامهم. ثم جرى الصبي إلى مخبأ أخيه بين الأعشاب على الطريق المجاور للغابة، وحالما وصل إلى هناك، ركض خلفه بعض الرجال الذين كانوا يصرخون ويثرثرون فيما بينهم.

صاحوا: «ها! ها هما هناك، على الطريق الشمالي».

اندفع سكان هاويكوكوي جميعاً باتجاههما، ولكنهم حين وصلوا لم يجدوا أي عدو. وبينما كان السكان يبحثون ويتراكضون حول المكان، انطلقت سهام آهايوتو وماتسيليما وأصابت أقربهم، ذلك أنهما زحفا على طول الطريق ومكثا ينتظران بين الأعشاب. لم يخطئا قط. فقد سقط كل رجل سدّدا نحوه، لكن العديد منهم جاؤوا، وحين رأوا أنهما مجرد مقاتلين اثنين، عادوا أدراجهم بأقصى سرعتهم مذعورين. على الرغم من ذلك فقد أطلق الصبيان السهام عليهم حتى قتل العديد منهم أو جرح قبل أن يقرر البقية النجاة بحياتهم.

قال الأخ الأصغر: «تعال يا أخي، فقد نفدت سهامي، أسرع!

ضع الترس المائي، ودعنا نبتعد!»، كان الناس قد بدأوا يلحقون بهم أسرع فأسرع، لكن آهايوتو ألقى عليهم الماء كالمطر الغزير من ترسه المعلق على ظهره، فارتخت أوتار أقواسهم، واضطروا إلى التوقف لشدّها مراراً.

وكلما حاول سكان هاويكوكوي شدّ سهامهم بإحكام، أمطرتهم التروس المائية بشدة حتى أصبحت أوتار سهامهم تتمدد كالصمغ حين يحاولون تثبيت السهم عليها، ولم يستطيعوا فعل شيء سوى أن يتوقفوا ويشدوا أوتار سهامهم مجدداً. وهكذا تمكن الصبيان من أن يقتربا من منزل جدهما، السلحفاة العملاق، مطلقين سهامهما الحربية التي لا تخطئ هدفها، بين فينة وأخرى على أولئك المحاربين.

لكن بينما اقتربا، كان الناس يتجمعون بأعداد كبيرة خلفهم، فبالكاد تسنّى لماتسيليما الوقت لحمل جده الذي كان ينتظر على ضفة البركة مستلقياً على ظهره.

وضع إيتاوا العجوز إحدى يديه على الكتف الأيسر والأخرى تحت ذراعه الأيمن، وشبك رجليه بإحكام حول خاصرتي ماتسيليما حتى تشبث جيداً بظهره. ثم قال: «الآن، اركض أنت أمامنا وسنتبعك».

قال الأخ الأصغر: «أوه يا جدي! أنت ثقيل كصخرة وقاس كصخرة أيضاً، كيف يمكنني أن أراوغ هؤلاء الماكرين هكذا؟».

قال السلحفاة العجوز وهو يرخي قبضته قليلاً: «هذا أفضل لك، هون عليك».

صاح آهايوتو من الأعلى: «إنهم قادمون! إنهم قادمون! أسرع، أسرع يا أخي الأصغر؛ أسرع!». لكن ماتسيليما لم يستطع أن يمض أسرع من ذلك.

ألقى السلحفاة نظرة حوله فرأى الناس وقد شارفوا على الوصول إليهم وبدأوا في سحب أقواسهم. فقال: «احن رأسك ولا تهتم بهم. سترى الآن ماذا يمكنني أن أفعل!»، ثم انسحب إلى داخل صدفته.

قعقت السهام وهي تنطلق نحو صدفة إيتاوا العجوز، وتعالت صرخات المحاربين تعلن النصر، لكن صرخاتهم انقلبت نحو معنى مختلف، فقد ارتدت سهامهم عن صدفة السلحفاة العجوز وعادت فضربتهم، فسقطوا في كل اتجاه: «رعب! فظاعة! هذه الكائنات تستطيع إطلاق السهام بسرعة وبقسوة!»، لكنهم واصلوا رشقهم بالسهام بشكل أسرع وأقوى، بيد أنها ظلت ترتد عليهم وهكذا أصبحوا يضربون بعضهم بعضاً بسهامهم المرتدة.

ثم صرخ أحدهم كان في المقدمة: «انتظروا! أوقفوا السهام! أوقفوا السهام! نحن نقتل بعضنا بعضاً فقط بسبب تلك الصدفة السوداء التي معهم، كما أن الآخر يجعل أوتار أقواسنا ترتخي».

لكن حين وصل آهايوتو إلى بيت جده، كان آميويلي متخماً بالطعام وبالكاد قادراً على التحرك، فلم يفعل سوى هز رأسه للأمام وللخلف.

تأوه الشيخ: «هل أتيت؟».

صرخ ماتسيليما: «بسرعة، أفسحوا الطريق، جميعاً! بسرعة، بسرعة!».

فقفز آهايوتو مفسحاً الطريق كما طلب أخوه الذي أضاف صارخاً: «ها ها! لا أقوى على الركض أكثر؛ عليّ أن أدعك تسقط، يا جدي»، لكنه رأى آهايوتو يقفز إلى جهة معينة، فتبعه أيضاً.

رفع آميويلي نفسه فاتحاً فمه، ورمى أوراق السحلبية التي كان يأكلها، حتى أعمى بصر سكان هاويكوكوي ، ثم طرحوا أقواسهم وأسلحتهم أرضاً وغطّوا عيونهم لحمايتها من العمى والألم. وظل آميويلي يسعل ويسعل إلى أن أخرج كل عصارة

جسده، فلم يتبق منه سوى دودة صغيرة لا تتعدى طول إصبعكم الوسطى.

صرخ السلحفاة العجوز: «ألقِ بي واهتم لثأرك، أظن أنني أستطيع حماية نفسي»، ثم ضحك من داخل ترسه؛ وتبقى للصبيين عمل يسير في التخلص من جميع الأعداء اللذين نفخ عليهم آميويلي، بينما فر الآخرون مذعورين إلى هاويكوكوي.

ضحك الصبية بينما بدأا يسلخان فروات رؤوس أهالي هاويكوكوي قائلين: «ها، ها! إن هذه القبعات أفضل من نصف سرب من الديوك الرومية».

ثم توقفا فجأة وقالا: «من الذي سيزف خبر نصرنا لشعبنا؟». وقد يظن السامع أنهما كانا ينتميان إلى قرية كبيرة وقبيلة عظيمة، وليس إلى بيت منعزل على قمة جبل التوأم، لا تقطنه سوى جدة وحيدة؛ لكنه كان موطنهما، كما تعلمون.

صاح السلحفاة: «أنا سأفعل! أنا سأفعل!» ثم أخذ يتهادى باتجاه جبل التوأم تاركاً الصبيين يسلخان فروات رؤوس أعدائهما.

وحين وصل إلى قمة هضبة منخفضة جنوب الوادي الرئيسي،

رمى عوداً في الهواء وصاح صيحة النصر مرتين أو ثلاث غير منتبه للمرأة العجوز.

ذعرت العجوز لسماعها تلك الصيحات. فألقت ثوباً قديماً على كتفيها، والتقطت قضيب إشعال النار، وانطلقت إلى الأسفل بكل ما أسعفتها به قدماها المنهكتان من سرعة، وكادت أن تقع أثناء جريها حين سمعت إيتاوا العجوز يصرخ مرة أخرى.

ثم قالت: «ها! سألقن قتلة الديوك الوقحة درساً قاسياً، حتى لو كنت عجوزاً، وأخذت تهز منخس النار في الهواء حتى بلغت إلى حيث كان السلحفاة العجوز منتظراً.

عندما اقتربت، تظاهر السلحفاة بعدم رؤيتها، بل وقف على قدميه، حاملاً هراوته بإحدى يديه، وصاح صيحة النصر مجدداً.

صرخت المرأة العجوز: «ما الأمر؟»، ثم ترنحت وقالت: «آه! آه! يا لقدميّ المسكينتين!».

قال السلحفاة بفخر دون أن يتنازل للنظر إليها إلا نادراً: «إنه النصر!».

تساءلت: «من الذي انتصر اليوم؟».

أجاب السلحفاة العجوز: «حفيداك».

سألت المرأة العجوز: «هل انتصرا؟ الشكر للآلهة!».

رد السلحفاة: «العديد من فروات الرؤوس».

«هل سيحتفلان؟».

«نعم».

سألت الجدة: «من الذي سيطهرهما ويسمهما؟».

«أنت ستفعلين».

«ومن الذي سيغسل الفروات؟».

«أنا سأفعل».

«ومن الذي سيطوف بها في أنحاء القرية؟».

«أنت ستفعلين».

«ومن الذي سيختارها؟»

«أنت ستفعلين».

«ومن سيحضر الوليمة؟».

«أنت ستفعلين».

«ومن الذي سيكون الكاهن؟».

«أنا سأكون».

«ومن الذي سيكون قائد الأغاني؟».

«أنا سأكون».

«ومن االذين سيرقصون؟».

«أنا».

«ومن الذي سيسحب السهام ويضحي بها؟».

«أنا سأفعل».

«من الذي سيكافح من أجل السهام المضحى بها؟».

«أنا سأفعل».

«ومن سيقود رقصة النصر؟».

«أنا سأفعل».

«من هم الذين سيرقصون؟».

«أنا سأفعل».

«من سيدعو النساء للمشاركة بالرقصة؟»

«أنا سأفعل».

«من سترقص من النساء؟».

«أنت ستفعلين».

«من سيأخذهما كي يترأسا مأدبة أقاربهما؟».

«أنت ستفعلين».

«من الذين سيكونون الأقارب؟».

«أنت».

«من الذين سيكونون كهنة الأسلاف؟».

«أنا».

وربما ظلا يتكلمان بتلك الطريقة حتى غروب الشمس فلم يسمعا الصبيين وهما يغنيان أغنية النصر فوق التلة. لقد كانا قادمين يحملان مجموعتين كبيرتين من فروات الرؤوس بحجم حزمة من جلود الغزلان.

تأوهت المرأة العجوز: «آه! يا لي من مسكينة! كيف سأتمكن من التجول بكل تلك الفروات في أنحاء القرية؟»، فقد بدت منهكة للغاية كي تتزين من أجل المراسم.

أجاب السلحفاة الشيخ: «عليك أن تتجولي بها»، ثم مد نفسه للأعلى وكأنه يزهو بكونه المخطط للشعائر.

ثم أحضر الصبيان الفروات وعلقها السلحفاة الشيخ على سارية طويلة.

ويوماً بعد يوم أخذوا يرقصون ويغنون، لكي يضيفوا مزيداً من الخيوط إلى شارتي الصبيين فيزداد عرضهما. وكان السلحفاة العجوز كاهن–قائد الاحتفالات والسكان، كاهن ضئيل، منظم الأغاني، والراقصين؛ المضحي بالسهام والمكافح من أجل السهام. كان يضرب الطبل ثم يغني قليلاً، ويركض ويرقص لكن ذلك كان عملاً مرهقاً.

كما كانت العجوز أم الأولاد والأخوات، وفرقتهم، ورئيسة الشعائر، وعذارى الشعائر في الوقت ذاته؛ لكنه كان عملاً شاقاً، ولم تمض كل الأمور على ما يرام.

وهذا هو السبب وراء أننا نملك اليوم العديد من منظمي الأغاني والمغنين وقادة فرق الرقص والراقصين والكهنة والقوم وجماعتي الآباء والأمهات في الاحتفال العظيم بالنصر.

وهكذا حدث مع آهايوتو وماتسيليما وجدتهما وجديهما دودة قوس قزح والسلحفاة العجوز. وهذا هو السبب وراء حجم دودة قوس قزح اليوم الذي لا يتعدى طول إصبعك، فهذا الجد العظيم نفخ كل خلاصة جسده على سكان هاويكوكوي.

وهذا هو السبب في أن حجم السلاحف المائية في العالم البعيد أكبر كثيراً منها هنا، ولديها العديد من العلامات على تروسها بعد أن ارتدت السهام عن صدفة جدها. ولأن إيتاوا الطاعن في السن كان فخوراً جداً بأنه أصبح القائد العظيم للاحتفالات فقد احتقر بركته القديمة، وهجرها باحثاً عن موطن جديد في مياه القسم الغربي من العالم، ولم ينم أحفاده أكثر منذ رحيله، أما اليوم، فسلالاته صغيرة الحجم أيضاً.

وهكذا تنتهي حكايتي.

العدّاء السريع الشاب الذي جرده العنكبوت العجوز من ملابسه

في زمن موغل في القدم، عاش شاب في بلدة كياكيم، وكان ابن كبير الكهنة فيها.

اعتاد هذا الشاب على ارتداء ملابسه وكأنه ذاهب إلى حفلة الرقص، وعلى الركض حول جبل الرعد بأكمله كل صباح قبل شروق الشمس وقبل البدء في تلاوة صلواته.

كان شاباً وسيماً، وكان زيه الجميل متعة للناظرين.

وتحت العمودين الصخريين العريضين في النهاية الجنوبية الشرقية لجبل الرعد، وعند قاعدة الجبل، عاش عنكبوت طاعن في السن في وكره. وفي صباح أحد الأيام، بينما كان الشاب يمر بسرعة بزيه الجميل، سمع العنكبوت صوت الأجراس الهلالية التي كانت متصلة بحزام هذا العداء الشاب ورآه وهو يمر، ففكر في نفسه: «آها! لو استطعت فحسب أن أنتزع منه زينته الجميلة التي تكسوه، فأي حظ سأنعم به آنذاك! سأنتظر مروره في المرة القادمة».

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، تماماً عندما بددت أشعة الشمس حجاب العالم، سمع العنكبوت صوت الأجراس الهلالية، فمد رأسه من وكره وانتظر. وحين اقترب الشاب، خاطبه قائلاً: «مهلاً يا صديقي؛ اقترب مني قليلاً!».

أجاب الشاب: «لماذا؟ فأنا في عجلة من أمري».

قال العنكبوت: «لا تهتم لذلك؛ تعال إلى هنا».

أجاب الشاب: «ما الأمر؟ لماذا تعيقني؟».

قال العنكبوت: «من أجل هذا السبب، ألا تحب النظر إلى نفسك اليوم؟ فإن أردت ذلك، فيمكنني أن أريك كيف».

سأل الشاب: «كيف؟ أسرع، لأنني في عجلة من أمري».

أجاب: «حسناً، بهذه الطريقة، اخلع ملابسك، جميعها؛ وسأخلع ملابسي. ثم تضع ملابسك في كومة أمامي؛ وسأضع ملابسي في كومة أمامك. ثم سأرتدي ملابسك كما تفعل أنت، وهكذا سترى كم أنك شاب وسيم».

فكر الشاب بالموضوع فوجد أن تلك فكرة جيدة. فبدأ يخلع ثيابه: زوج حذائه الجلدي الملون بالأحمر والأخضر،

جورباه الأبيضان الناعمان المحبوكان بغرزات متقنة والمهدّبان كالجوربين اللذين يرتديهما قائد الرقصات في موسم العام الجديد، التنورة المزخرفة بدقة، والعباءة والمعطف، المصنوعة كلها من القطن الأبيض الذي تزينه رسومات وأشكال ملونة بعدة ألـوان، الحلي الثقيلة التي تزين كاحليه والمصنوعة من الصدف الأبيض المقدس، قرطاه الفيروزيان الأزرقـان كزرقة السماء، وهكذا حتى عرى كتفيه، ثم خلع عصابة رأسه المطوية ذات الخيوط المتعددة الألـوان، وتلك الحزمة من ريش الببغاء الأزرق والأحمر والأصفر، التي كان يرتديها في عقدة شعره على مؤخرة رأسه، خلع كل هذه الأشياء، واحدة تلو الأخرى، ووضعها أمام العنكبوت العجوز الدميم.

ثم قام ذلك المخلوق الرطب الصوفي المكسو بالشعر بخلع ثيابه الخشنة البشعة وذات اللون الأزرق الرمادي: زوجا حذاء باللون الأزرق الرمادي، بنطال وتنورة زرقاء رمادية، معطف وعباءة زرقاوان رماديان، لا شيء سوى الأزرق الرمادي، ثياب صوفية بشعة ووسخة مكسوة بالشعر. حين فرغ العنكبوت من فعل ذلك، بدأ بارتداء الملابس الأنيقة التي وضعها الشاب أمامه، وبعد أن لبسها، رفع نفسه بأرجله الخلفية المعقوفة، وقال: «انظر إلي الآن. كيف أبدو؟».

قال الشاب: «حسناً، فيما يتعلق بالملابس، إنها جميلة».

قال العنكبوت: «انتظر فقط بينما أرتفع قليلاً بعد»، «ثم رفع نفسه ومشى إلى الخلف نحو باب وكره. ثم توقف ووقف هادئاً وقال: «كيف أبدو الآن؟».

قال الشاب: «أكثر وسامة».

فتابع العنكبوت: «انتظر بينما أصعد قليلاً بعد»؛ ومشى إلى الخلف، ذلك أن للعناكب قدرة على فعل ذلك، ووقف مستقيماً وقال: «كيف أبدو الآن؟».

قال الشاب: «لا تزال أوسم».

أضاف العنكبوت: «انتظر فقط بينما أصعد قليلاً بعد»؛ وفي هذه المرة عاد فبلغ باب وكره، ووقف على حافة المدخل، قائلاً: «والآن إذن، كيف أبدو؟».

قال الشاب: «في غاية الوسامة».

ضحك العنكبوت بصوت خفيض: «آها!» ثم استدار ودفع رأسه أولاً داخل وكره.

صرخ الشاب: «اللعنة عليه!» ووقف هناك مطأطئاً رأسه،

وهو يفكر قائلاً في نفسه: «اللعنة على هذا الوغد العجوز! تلك هي الحيلة التي كان يخبئها لي، أليس كذلك؟ هذا رهيب! ماذا علي أن أفعل الآن؟ لا يمكنني الذهاب إلى البيت عارياً، أو نصف عارٍ. لكن، أظن أن لا خيار لدي»، وانحنى وتناول نسيج البنطال الأزرق الرمادي المكسو بالشعر الذي تركه العنكبوت العجوز هناك والتنورة واتخذ طريقه نحو البيت مسرعاً.

عندما وصل إلى البيت كانت الشمس مشرقة وعالية، لكنه لم يسبق له يوماً أن عاد في مثل هذا الوقت، لذلك فقد بدأ كبار القرية يفكرون، «بالتأكيد، حدث أمر ما مع ذلك الشاب بما أنه لم يأت اليوم مبكراً كالمعتاد». وحين أتى قالوا له: «ما الذي حدث معك فأخّرك هكذا؟».

رد الشاب: «ها! إن العنكبوت الطاعن في السن الذي يعيش أسفل العمودين الصخريين، قد جردني من ملابسي، وهرب بها إلى داخل وكره».

قال والده الشيخ: «لقد فكرنا في أن شيئاً من هذا القبيل قد حدث معك».

قال بقية كبار القرية: «أرسل في طلب كاهنك المحارب، لنرَ ما موقفه من ذلك، وما يمكن فعله».

فأرسل رئيس الكهنة في طلب كاهنه المحارب، وعندما وصل سأل: «هل أرسلتم في طلبي؟».

قال الأب: «أجل هذا صحيح، لقد أرسلنا في طلبك، لأن العنكبوت قد جرد ابني من ثيابه الجميلة، وهي مقدسة ونفيسة، ووفقاً لذلك، فقد اعتبرناها خسارة عظيمة له ولنا. فكيف ترى أن بإمكاننا أن نسترد ما سُرق منا؟».

فكر الكاهن المحارب لبرهة، ثم قال: «سأقترح نبش وكر العنكبوت، فليس مرجحاً أنه سيتفاخر بملابسه بعيداً عن وكره ثانية».

وهكذا، صعد الكاهن المحارب إلى سطوح المنازل منادياً شعبه:

«يا شعبي وأبنائي! أعلمكم بأمر في هذا اليوم، فاستمعوا إلى أوامري! إن ابننا، أثناء جريه المعتاد قبل أداء صلواته مبكراً هذا الصباح، قد اعترض طريقه العنكبوت الطاعن في السن الذي نجح، بحذقه ومكره، في تعرية الشاب من ملابسه الجميلة. لذلك، آمركم بأن تسرعوا! وتجمعوا المجارف وعصي الحفر؛ ولنذهب جميعاً فنخرج ذلك النذل من وكره؛ دعونا نذهب،

القرية بكاملها، النساء والرجال والأولاد. يا بناتي، يا نساء القرية، اصطحبن معكن السلال وما يماثلها لكي تجمعن فيها المخلفات اللزجة، التي سننقل بها ما حفره الرجال من الرمال والتراب. آمركم بحزم أن تستعدوا لتنفيذ ذلك! أسرعوا فحين ينزل العنكبوت العجوز لتناول الطعام، سنهتدي إلى وكره».

بعد أن تناول الناس أيضاً طعامهم وتبعوه، بدأوا يعملون بسرعة في حفر نفق في ثقب وكر العنكبوت؛ وهكذا ظلوا يعملون ويعملون من الصباح وحتى المساء، لكنهم لم يدركوه، حتى وصلوا أخيراً إلى قاعدة الجبل الصخرية الصلبة. كانوا قد ملأوا سلالهم بالرمال وقذفوها خلفهم، وهكذا حتى ارتفعت الرمال والأتربة مشكلة هضبة كبيرة، لكنهم لم يتمكنوا من إدراك العنكبوت.

وحين وصلوا قواعد الجبل الصخرية الصلبة، رأوا الثقب وقد انشق كالكهف أمامهم، ووجدوا أن من العبث متابعة العمل. فاستسلموا بيأس قائلين: «ماذا يمكن أن نفعل أكثر من ذلك؟ فلنعد إلى البيت. فلنتخلّ عن هذا الأمر، ما دمنا مضطرين إلى فعل ذلك». ثم سلكوا طريق العودة.

كان كبار البلدة بعيدي النظر، فاجتمعوا معاً وتحدثوا في

الأمر ثانية، وأخيراً اقترح أحدهم: «ما رأيكم في أن نرسل في طلب طائر الرفراف[1] العظيم. فهو حكيم وماكر وسريع في الطيران؛ يندفع من ارتفاع كبير إلى داخل الماء، ويستطيع التقاط ما يريد بسهولة. ما رأيكم في أن نرسل في طلب هذا المبجل؟».

أجاب الآخرون: «آها! لقد وجدناها، أرسلوا في طلبه على الفور».

فدعا الكاهن المحارب العداء الشاب السريع، وأرسله إلى هضبة الرفراف العظيم.

عندما سمع الرفراف وقع أقدام عند مدخل بابه، سأل: «ما الأمر؟».

قال الشاب: «تعال بسرعة! فكبار البلدة في انتظارك».

فتبعه الرفراف العظيم، وحين وصل إلى المجلس، حيا الحاضرين ثم سأل: «ما الذي تريدونه مني؟».

فقالوا: «إن العنكبوت قد جرد ابننا الشاب من ملابسه، ولا نعلم كيف نستعيدها. لقد حفرنا داخل الوكر، حتى قواعد الجبل، لكن يبدو أنه قد تجاوزها. لا نعلم ماذا نفعل. لذلك أرسلنا

(1) أو طائر القاوند، طائر يعيش قرب الأنهر ويأكل الأسماك (م).

في طلبك، ونحن نعرف قدراتك ومهاراتك في الانقضاض بسرعة على أي شيء تريده تحت المياه».

قال الرفراف العظيم: «آها! سأقوم بشيء ما حيال هذا الأمر، لكنكم تكلفونني بمهمة صعبة. فهذا العنكبوت في غاية المكر، وعلاوة على ذلك فإنه ثاقب النظر جداً. لكنني، على الرغم من ذلك سأحاول، وإذا حالفني الحظ فسوف أسترد لكم شيئاً مما سرقه». ثم ودعهم وعاد إلى منزله على هضبة الرفراف.

وفي وقت باكر من صباح اليوم التالي، سلك طريقه السريع إلى أسفل العمودين الصخريين، وهناك حيث يفترق العمودان وقف بينهما كإصبع صغير بين إصبعين آخرين، وبالكاد رفع منقاره فوق الحافة وأخذ ينظر إلى فتحة وكر العنكبوت.

كانت أشعة الشمس بالكاد تومض على الحافة المقابلة من العالم، حين ألقى العنكبوت العجوز نظرة خاطفة خارج حافة وكره، ونظر في كل المكان حوله. كانت له عينان بمثابة أعين عديدة، حادة وواضحة بشكل مذهل. نظر من خلالها حوله، وكما هو متوقع. فقد اكتشف وجود رفراف، لا يظهر منه سوى القليل القليل، فنادى العنكبوت: «هو، هو! المتسلل يتسلل. المتسلل يتسلل!».

وعلى الفور هز الرفراف جناحيه، وهبط كريح قوية؛ ثم أنهى تحليقه كسهم طليق؛ لكنه بالكاد مس رؤوس الريش الذي كان على عقدة رأس العنكبوت العجوز، فرفع العنكبوت جسده واندفع إلى وكره برأسه أولاً. وحالما دخل، قال متحدثاً إلى نفسه: «ها، ها! أحسنت! أحسنت! دعنا نرقص ونغني»؛ ثم أخذ يتبختر راقصاً وهو يغني في ظلام حجرته العميقة.

كان يرقص على إيقاع أغنيته رقصة ـ من المؤكد أن لا أحد غيره قادر على مجاراته فيها ـ هذا إن كانت حقاً أغنية. وعندما أنهى رقصته، نظر إلى ملابسه المتراقصة وقال: «ها، ها! انظر فقط إلى ثوبي الرائع! ألست وسيماً الآن؟ أخبرتك أنني وسيم! فلنرقص الآن ثانية!» ومرة أخرى غنى بأعلى ما يمكن لصوته أن يصفر، وتبختر على رجليه الخلفيتين المعقوفتين، بملابسه المتراقصة الجميلة.

أما الرفراف العظيم، بجناحيه المتدليين ومنقاره منفرج الزوايا، فقد حاول الإمساك بسمكة لكنه لم يستطع على الرغم من كونه جائعاً، لذا عاد إلى المجلس؛ وقال للناس هناك: «لا فائدة! لقد فشلت تماماً. وكما قلت لكم من قبل، إنه شيخ ماكر

ثاقب النظر، فماذا يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك؟»، ثم ودع الجميع، ومضى في طريقه عائداً إلى منزله على هضبة الرفراف.

تشاور القوم فيما بينهم وتدارسوا الأمر مرة أخرى؛ وفي النهاية قال بعضهم: «نظراً لأن الرفراف فشل في مهمته، فلنرسل في طلب جدنا النسر العظيم. إنه من بين جميع المخلوقات المجنحة الأسرع والأكثر حدة في النظر، محكم القبضة، معقوف المنقار، يستطيع الحصول على ما يشاء والإمساك بما يشاء».

وهذا ما حدث، فقد أرسلوا في طلب النسر. فأتى، وعندما علم ما يريدون منه، استدار بسرعة، قال وهو يودعهم: «أظن أن بإمكاني أن أنجح، و لكن مع هذا فمن المؤكد، كما قال أخي الرفراف، أن العنكبوت مخلوق ماكر حاد البصر. لكنني سأفعل ما بوسعي».

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، قبل شروق الشمس، توجه النسر إلى قمة جبل حيوانات الغرير، وهو على مسافة بعيدة من العمودين الصخريين، لكنها ليست بالمسافة البعيدة بالنسبة إلى النسر. وقف هناك، ورأسه مرفوع إلى الرياح، يدير عيناً ثم الأخرى وينظر إلى مدخل وكر العنكبوت، إلى أن مد هذا أنفه الصوفي خارجاً، كما هو متوقع. فاكتشف وجود النسر، فأخذ يصرخ: «هوو، المتسلل يتسلل!»، عندها اندفع النسر مثل حجر

ينطلق صافراً من مقلاع باتجاه رأس العنكبوت العجوز مباشرة. إلا أن جناحيه رفرفا مهسهسين فوق الوكر بدون أدنى فائدة، ووصلت مخالبه المعقوفة إلى ظلام الوكر محاولة التشبث بإحدى الريشات التي تزين عصبة رأس العنكبوت. ولكن، حتى هذه فشل في سحبها.

هرول العنكبوت إلى حجرته السفلية، وهتف قائلاً: «ها، ها! لقد نجوت بأعجوبة! يا لها من لحظة مخيفة! لكنه لم يمسك بي! لا، لم يمسك بي! دعنا نرقص! فلنرقص! يا لي من بارع!»، وبدأ يتبختر في المكان، ويرقص ويغني كما غنى من قبل.

حالما توقف لالتقاط أنفاسه، نظر بطرف عينه إلى ملابسه المتراقصة وصاح: «هوو! يا لي من شيخ وسيم! أنا أرتدي أروع الثياب! فلنرقص ثانية! ومرة أخرى رقص وغنى، وحده، معجباً بنفسه، مجيباً عن أسئلة نفسه، متفرجاً على حركات نفسه. فمضى النسر العظيم، المحطم الكبرياء، الموصوم بالعار، في طريقه إلى المجلس، وأقرّ بهزيمته وودّع الحاضرين.

ثم اجتمع القوم وتشاوروا مرة أخرى وقرر كبار البلدة أن يرسلوا في طلب الصقر الأصغر صاحب الريش القاسي الأملس المرقط، الرمادي والبني، مثل الصخور وشجيرات الميرمية،

والذي- لكونه سريعاً كالرفراف، قوياً كالنسر وصغيراً- ليس قادراً فحسب على الطيران حيث تطير الطيور الأخرى، بل يمكنه أيضاً أن يتغلغل في أدق الأجمات حين ينشد فريسته، فهو مجهز مثل سهم ذي ريش جيد. فأرسلوا في طلبه؛ فجاء، وبما أنه ملم بحقائق القضية، قال لهم إن ليس في وسعه إلا أن يحاول، لكنه مع ذلك أكد بتواضع أنه بما أن شقيقاه الأكبران، الرفراف العظيم والنسر العظيم، بذلا جهدهما في هذا المضمار، فلم تعد محاولته مجدية، مردداً ما قالاه عن مكر وحدة بصر العنكبوت.

ثم ذهب مبكراً في الصباح التالي ووقف على حافة الجرف الشاهق حيث العمودان الصخريان، ناظراً إلى داخل وكر العنكبوت. هناك، وعند شروق الشمس، بات من الصعب رؤيته حتى ولو اقترب المرء من المكان، فمعطفه الرمادي ـ البني بدا شبيها بالصخور والأعشاب الجافة وعلاوة على ذلك، فقد كان مستلقياً في مكان قريب جداً من الأرض، كورقة خريفية رمتها الأمطار على الأرض. وشيئاً فشيئاً، مدّ العنكبوت وجهه المتجعد، وأدار عينيه في كل اتجاه، حتى للأعلى وللأسفل؛ ثم لوى رأسه من جانب إلى آخر. لكنه لم يرَ شيئاً. فأخرج رأسه بالكامل من وكره، وظهر كتفاه. وعندما استعد الصقر الأصغر،

لحظه العنكبوت العجوز، لكن، يا للأسف! لم يعد الوقت كافياً للنجاة بنفسه، أما الصقر الأصغر، فبدفعة من جناحيه، كدوامة في عاصفة ثلجية، اندس في مدخل وكر العنكبوت، وقبض على رأسه وأخرج معه ريشات الببغاء التي تزين عصبة الرأس التي كان الشاب يرتديها.

هرول العنكبوت باضطراب إلى وكره، وجلس وهو يحني جسده حتى النصف بخوف وكدر. هز رأسه للأمام وللخلف، وتحسر متحدثاً إلى نفسه: «يا للخسارة! يا للخسارة! عصبة رأسي الجميلة؛ الوغد المتسلل! عصبة رأسي الجميلة؛ لقد سلبها مني. لكن ما فائدة الانزعاج بشأن حزمة مزرية من ريشات الببغاء، على أي حال؟ فقد غدت وسخة، أصبحت ملتوية ومكسورة، وقد سكنها العث وأخذ يتغذى عليها؛ كما أن ألوانها تغيرت؛ لماذا أجشم نفسي عناء التحسر على شيء عديم القيمة كهذا؟ ألست صاحب أجمل لباس في الوادي؟ حذاءان جلديان جميلان وتنورة وعباءة مطرزتان، أكمام بهية مثل زهور الصيف، عقود تساوي خمسين ريشة رأس، وأقراط تساوي حفنة من هذه العقود. ها، ها! فليهرب بريشات الرأس البالية تلك! فلأرقص، ولتذهب إلى الجحيم تلك الريشات البالية!» ثم

وثب بخفة هنا وهناك، وغنى أغنيته القديمة عديمة الأنغام.

كان لا يزال معجباً بنفسه كالسابق، حيث تابع: «في الواقع، لم أكن قادراً على رؤية تلك الريشات لأنني كنت أرتديها في مؤخرة رأسي».

فمضى الصقر الأصغر في طريق العودة إلى المجلس لاعناً حظه الناقص، وألقى ريش الرأس تحت أقدام كبار البلدة، قائلاً: «يا للأسف! يا سادة؛ هذا كل ما استطعت أن أفعله، فقبل أن أتم تحليقي بشكل كامل، اكتشف العنكبوت العجوز وجودي وفر إلى وكره. لكنني حصلت على هذه، وها أنا ذا أعطيكم إياها. لعل غيري قادر على إحراز نجاح أفضل!».

فقال الكاهن: «لقد نجحت نجاحاً منقطع النظير، فهذه الريشات هي الأكثر قيمة لأنها من أرض الصيف، فالشكر الجزيل لك أيها المبجل!»، واتخذ الصقر العظيم طريقه إلى حيث يعيش في الأجمات ومنحدرات التلال.

ثم تشاور القوم مع بعضهم بعضاً قائلين: «ماذا يمكننا أن نفعل غير ذلك؟ لابد من أن نلتجئ إلى الآلهة كما يبدو». فاستدعوا العداء السريع وقالوا له: «لقد اخترنا الأقوى والأسرع والأوسع

حكمة من بين الكائنات ذات الريش؛ لكنهم فشلوا على الرغم من ذلك. إذن، سوف نرسلك إلى الآلهة، فلطالما كنت مخلصاً في أداء واجبك تجاههم من الصباح وحتى الصباح». وهكذا، أمروه بتسلق قمة جبل الرعد وزيارة موطن إلهي الحرب، ماتسيليما وآهايوتو، فقد كانا ما زالا يقيمان على قمة جبل الرعد مع جدتهما العجوز.

جهز كهنة البلدة الريش الذي سيضحون به وقسموا كنوزهم من أجل الآلهة، ودعوا الشاب مرة أخرى، وقدموها له بصفته رسولهم، طالبين منه أن يقدم للإلهين أطيب التحيات.

وفي صباح اليوم التالي، تسلق الشاب ذلك الطريق الشاق واقترب حالاً من مسكن الإلهين وجدتهما العجوز. التي كانت–في تلك اللحظة–على سطح بيتها، بينما كان الصبيان الشقيان في الغرف السفلى من المنزل–وهما دائماً لا يتواجدان عند الحاجة لهما، ولا يتوقفان أبداً عن ممارسة الألاعيب، فتلك هي طريقتهما الصغيرة كما تعلمون.

دعت الجدة العجوز الشاب إلى الدخول، ثم نادت حفيديها إلهي الحرب: «يا ولدي، اصعدا كلاكما، بسرعة. لقد جاء شاب لرؤيتكما، حاملاً لكما التحيات». ولذلك،

نفضا عنهما مظهرهما اللعوب، ودخلا الحجرة بوقار عظيم، وقالا وهما ينظران إلى الشاب فارع الطول: «أهـلاً بك، عسى أن يكون خيراً ما دفعك للمجيء. اجلس. ما الأمر؟ فمن المؤكد أن هناك سبباً وراء مجيء غريب إلى بيت غريب آخر».

قال الشاب باحترام: «إن ما قلتماه صحيح، يا والديّ! أحمل لكما من كبار بلدتي التي تحت الجبل التحيات والقرابين».

أجاب الإلهان: «هذا حسن أيها الشاب».

ثم أردف: «كما أحمل لكما عبء بلائي، وأود أن أستمع إلى نصحكما، وربما ألتمس عونكما».

قال الاثنان: «ما الأمر؟».

ثم روى الشاب ما حدث معه وكيف جرده العنكبوت الطاعن في السن من ملابسه؛ وكيف اجتمع كبار البلدة في مجلسهم، وطلبوا المساعدة من الكائنات المجنحة الأسرع والأوسع حكمة، لكن لم ينتج عن ذلك سوى القليل من النجاح؛ وكيف أنهم—في النهاية—اقترحوا قدومه إليهما، بصفتهما آباء البشر في أوقات الشدة والنزاع.

صاح الأخوان إلها الحرب: «جدتي! أسرعي! أسرعي يا جدتي! اصنعي لنا بعض الطحين. فليكن طحين الصخور!».

جمعت الجدة بعض الأحجار الرملية الكلسية. وحطمت هذه الصخور إلى شظايا وطحنتها حتى أصبحت كالطحين؛ ثم قامت بطحنها على حجر أنعم حتى أصبحت مسحوقاً أنعم وأكثر خفة، فصنعت منه عجينة مع الماء، ثم قام الإلهان ببراعتهما النادرة بتشكيل هذه العجينة—بينما أخذت تقسو—إلى تماثيل لأيائل، فقد صنعا تمثالين لغزالين وآخرين لبقرتين وحشيتين. وعندما انتهيا من صنعها، ألقيا بها أمام الشاب قائلين: «خذ هذه وضعها على الرف الصخري الخاص بالقرابين على الجانب الجنوبي من هذا الجبل، ولا تنس أن تتلو عليها صلوات الآلهة. ثم عد إلى منزلك، وأخبر كبار بلدتك بما أرشدناك لعمله. وأخبرهم أيضاً أين قلنا لك أن تضع هذه الأشياء، حيث ستكون هذه الأشياء على الرف الصخري؛ وعليك أن تذهب في الصباح لتحييها وترشدها إلى وكر العنكبوت، فهو مولع جداً بالصيد؛ لا شيء يجلب له المتعة أكثر من قتل شيء ما، وسيغوى بها ويخرج من وكره».

فعل الشاب ما قيل له، وعندما وضع التماثيل في صف على

الرف، ووصل إلى البيت، أعلم كبار بلدته بما طلب منه الإلهان أن يعلمهم به.

ثم دعا والده، رئيس الكهنة، الكاهن المحارب وقال له: «ربما يغوى العنكبوت بالخروج من وكره غداً. ألن يكون مناسباً أن نشد أوزار الحرب ضده يوم غد؟».

أجاب الكاهن المحارب: «نعم، سيكون ذلك مناسباً بالفعل»، فذهب رئيس الكهنة إلى سطوح المنازل ودعا الناس قائلاً:

«يا شعبي وأبنائي، إنني آمركم اليوم! فليجتمع الشبان والمحاربون وليستعدوا من أجل الحرب. فربما ننجح في إغراء العنكبوت العجوز بالخروج من مخباه يوم غد، بتلك التماثيل المقدسة التي صنعها التوأمان المبجلان من أجل ولدنا، العداء السريع. فلنتجهّز لإلقاء القبض عليه. أسرعوا! استعدوا! إني آمركم بحزم».

وكما لو أنهم تلقوا أخباراً سارة بالفعل، استعد الناس للحرب بسرعة كبيرة، واجتمعوا معاً بأعداد هائلة، وأخذوا يختبرون قوة أقواسهم، وانطلقوا بجلبة وصخب من البلدة إلى أسفل جبل

الرعد، منتشرين على جميع التلال السفلية. ومع اقتراب بزوغ الفجر، استهل الشاب طريقه نحو الرف الصخري القرباني على جانب الجبل. وعندما وصل، يا للعجب! كانت كل من الغزلان وبقر الوحش تسير بوداعة هنا وهناك، تقضم العشب و الأوراق الغضة، وعندما اقترب، قالوا له: «إذن، ها أنت ذا».

قال الشاب في ابتهال: «الآن، في هذا اليوم، تماسكوا يا أطفالي، في سبيل هدفنا الذي جعلناكِ من أجله كائنات حية، فاتبعي تعليماتي، أرجوك أن تفعلي! لقد سلبني العنكبوت، الذي يسكن تحت العمودين الصخريين، حلتي المقدسة الرائعة، بخسة ونذالة. ولذلك فقد دعوتك لتمديني بيد العون. اذهبي الآن باتجاه بيته، فربما يُغوى بالخروج حين يرى منظرك البهي.

فأذعنت الغزلان والظباء إلى رغبة الشاب وسلكت الطريق الذي يمر في الجهات المنحدرة للتلال السفلية باتجاه وكر العنكبوت العجوز. وحين اقتربت من الوكر، صرخ الشاب من أسفل أحد الوديان: «هووووو! أسرعوا! فهناك بعض الغزلان وبقر الوحش المقبلة! ربما يتمكن أحد من الاقتراب منها، افهموا، هناك بعض الغزلان وبقر الوحش».

كان العنكبوت يتحدث إلى نفسه كعادته، في غرفته الداخلية، حين سمع ذلك الصوت الخافت. فصاح: «ها! ما هذه الهمهمة؟ أحدهم ينادي من دون شك!»، ثم وثب نحو الباب في اللحظة التي نادى فيها الشاب مرة أخرى: «آها! أسمعت بوحود غزلان وبقر وحش؟ فلنرَ». وحين نادى الشاب للمرة الثالثة، هتف: «هذا هو! هذا ما كان ينادي به. هيا الآن إلى الصيد! ربما أتمكن من الحصول عليها مثل أي شخص آخر».

فأمسك العنكبوت بقوسه، وحل الأنشوطة التي على مقدمته، ونقر الوتر، وانطلق. لكن في اللحظة التي غادر فيها وكره، قال في نفسه: «يا له من فجر رائع! لكنه لن يكون كذلك؛ لأنهم سيكونون في إثري إن خرجت. أوه! هذا هراء! لن يحدث شيء من هذا القبيل. ثم ماذا يهم؟ ألست أحمل قوساً وسهاماً بجعبتي؟»، ثم وثب من وكره وانطلق باحثاً عن الغزلان. وحالما وصل إلى مكان عالٍ يوفر إطلالة جيدة، صرخ: «آها! هذا صحيح تماماً، إنها مقبلة من هناك!»، وبالفعل، كان يقول الحقيقة. إذ كانت الغزلان لا تزال تقترب. وعندما اقترب أحدها، استلّ العنكبوت سهماً وأطلقه، فسقط على الفور. فصاح: «آها! من يمكنه الزعم أنني لست صياداً ماهراً؟»، ثم

جهز سهماً آخر، وأطلقه على الغزال الثاني، الذي خرّ صريعاً في مكانه. وبمزيد من هتافات البهجة، قتل بقرة وحش، ثم قتل الأخرى.

ثم قال: «الآن، أفترض أن علي أخذ هذه اللحوم معي إلى البيت. لقد اصطدت طرائد رائعة اليوم». وفك الشريط الذي أحضره معه وربط به قوائم الغزال الأول الذي أرداه قتيلاً. ثم انحنى إلى الأسفل، رفع الغزال، وشد الرباط فوق جبهته، وكان على وشك الصعود مع حمله إلى وكره، حين سقط للأسفل، وكاد أن يتحطم تحت كومة من الصخور البيض. فقال: «يا للآلهة! ما هذا؟ الرحمة، هذه مروع!» فقد نظر حوله، ولم يرَ شيئاً من طرائده عدا كومة بشعة من الصخور البيض! فأردف: «ما المسألة؟ ربما تحتم علي تأدية واجباتي نحو الشيطان!»، ثم حاول رفع الثانية، فلم ينجح أيضاً. لذا قال: «هناك واحدة بعد على أي حال، «وربط قوائم الأخيرة معاً، وأوشك على وضع الرباط على جبهته، عندما سمع وقع أقدام هائل وصراخاً مروعاً وضجة شديدة، فقد كان الناس مجتمعين حول وكره. حاول الوصول إلى فتحة الوكر بأقصى سرعة ممكنة، لكن الناس كانوا قد

سبقوه إلى هناك؛ فقبضوا عليه، وانتزعوا ملابسه المسروقة، وسحبوا قرطيه من أذنيه مما أدى إلى شقهما، حتى استسلم صارخاً: «موت ورماد! الرحمة! الرحمة! هذا مؤلم! هذا مؤلم! لا تعاملوني بهذه الطريقة! سأكون طيباً من الآن فصاعداً. سأخلع الملابس وأعيدها لكم دون أي متاعب، فقط دعوني وشأني». لكن الناس أطبقوا عليه بغضب، وجروه حتى أصبح في متناولهم، وضربوه، وانتزعوا ثيابه، إلى أن أصبح نصف عارٍ ومغطى بالكدمات ومشوها حتى بات بالكاد قادراً على الحركة.

ثم تجمع كبار الكهنة، وقال أحدهم لآخر: «ليس من المستحسن ترك هذا الحقير يمضي على سجيته؛ إنه كبير جداً وقوي جداً وماكر جداً، وهو لا يفكر سوى في الخراب والدمار، بل في الواقع إنه يعشق تدمير نفسه. وهولا يفكر إلا في التملك أيضاً. لذا، لن تكون فكرة حسنة أن نتركه يمضي هكذا في أصقاع الأرض. لا بد أن نحرقه بالنار قليلاً؛ وبهذا فقط، سنتخلص العالم من الشر الذي يتلبسه».

وهكذا، احتشد الناس وجمعوا أكواماً هائلة من الحطب، وأضرموا ناراً كبيرة ثم ألقوا العنكبوت المتخبط بين ألسنة اللهب،

فأخذ يحترق ويفرقع، وينتفخ وينتفخ حتى انفجر مصدراً دوياً مرعباً، فتطايرت أشلاء جسده إلى شتى أنحاء الأرض. ثم عادت تلك الشظايا وأصبحت كائنات لا تشبه ذاك العنكبوت المحتال.

هذا ما حدث في أيام الأقدمين. ولذلك في أيامنا هذه، على الرغم من أن أرجل العنكبوت بقيت معقوفة، واحتفظ بعادته في المشي إلى الوراء، ولا يزال نوعه منتشراً في جميع أنحاء العالم، إلا أنه بات أصغر حجماً بكثير من العنكبوت الطاعن في السن الذي عاش أسفل العمودين الصخريين في جبل الرعد.

وهكذا تنتهي حكايتي.

آتاشايا الشيطان آكل لحوم البشر

في أيام الأقدمين، حين عاش أسلافنا الأوائل في هيشوكتا (مدينة المنحدرات)، عاشت أيضاً فتاتان جميلتان، أخت كبرى وأخت صغرى، ابنتا سيد كبير.

في صباح مشرق من أيام الصيف، نادت الأخت الكبرى على الأخت الصغرى: «هانا!».

فردت هانا: «ماذا تريدين؟».

قالت الأخت الكبرى: «إنه ليوم مشرق والمياه دافئة. فلنذهب إلى البركة لنغسل ثيابنا، فتبدو جديدة حين نرتديها خلال الرقصة القادمة».

قالت هانا: «نعم يا أختي الكبرى، لكن يقولون إن في هذه الأيام، تتراءى ظلال الصخور وأكمات الميرمية وكأنها أشياء مرعبة لا تصدق، لذلك يلهث كل من يمر وحيداً هناك بخوف كبير».

هتفت الكبرى بسخرية: «إن الأخوات الصغيرات خائفات دوماً، كما أن الإخوة الصغار حادو الطباع دائماً».

قالت الصغرى: «آه، حسناً إذن، لن أتجادل معك حول ما تريدين فعله، لكنني خائفة من الذهاب إلى هناك».

قالت الكبرى: «تعالي إذن»، فجمعتا عباءاتهما القطنية وبقية ملابسهما في رزمة، واصطحبتا معهما كيساً مملوءاً بأعشاب الصابون، وشرعتا في هبوط المرتفع، والطريق الذي ينحدر إلى مكان البركة عند أسفل الهضبة الكبيرة.

وبعيداً عن بلدة المنحدرات، بين الصخور الرمادية المحمرة والحمراء المصفرة التي تشبه جلموداً حجرياً يتراءى كالجرف الرملي المتجمد، هناك يوجد كهف عميق. ألم تشاهدوا هذا الكهف من قبل؟، حسناً! إلى يومنا هذا ما زال يدعى «كهف آتاشايا»، فقد عاش آتاشايا نفسه هناك في قديم الزمان. آه! كم كان شيطاناً بشعاً! كان له جسد كبير بحجم جسد أكبر الأيائل، وصدر أشعث بشعر قاس مثل أشواك الشيهم، وساقان وذراعان طويلتان مفتولتان، تغطيهما حراشف مرقطة بالأبيض والأسود.

وقد أوتي هذا الوحش شعراً خشناً متشابكاً مثل شعر عنق الجاموس، وعينين كبيرتين جاحظتين مثل حبتي بصل مكسوتين بالجلد، أما فمه الممتد من أحد خديه وحتى الخد الآخر، فقد امتلأ بالأنياب المعقوفة التي تشبه عظام الغزلان المهملة. كما كانت له شفتان حمراوان ومنتفختان كالفلفل الأحمر، ووجه مجعد وقاس كقطعة من جلد الغزال المحروق. هذا ما كان عليه آتاشايا، الذي عاش في قديم الأزمنة يفترس الرجال والنساء ويتغذى بلحومهم، أما أولاد البشر فقد تركهم من أجل التحلية بعد الطعام، من دون أن ننسى ذكر أسلحته الفظيعة أيضاً.

كانت أظافر أصابعه طويلة مثل براثن دب، ويحمل في يده اليسرى قوساً مصنوعاً من شجيرة بلوط الجبل، مع سهمين جاهزين للتصويب. ولم يره أحد يوماً من دون خنجره المصنوع من الصوان، إذ عادل بالنسبة له أهمية ساقه، رغم أنه كان بضعف طولها، وقد اعتاد أن يلوح به بيده اليمنى ليرجع شعره فيها نحو الخلف. وقد صبغت دماء من ذبحهم شعر مقدمة رأسه الأشيب، وغطى كتفيه بجلود أسود الجبال والدببة وثبتها بأزرار خشبية.

على الرغم من دمامة آتاشايا وعجزه عن الكلام والتحدث

من دون اصطكاك أسنانه، أو تلون ضحكه بصوت يشبه نباح الذئب، فقد تظاهر بأنه شيطان بالغ التهذيب. لكنه كان كاذباً كبيراً، كالعديد من الأشخاص البشعين والمهذبين.

استيقظ آتاشايا في صباح أحد الأيام ومد رأسه خارج مسكنه بينما كانت الفتاتان تنزلان إلى النبع. فلمحهما بعينيه اللتين كانتا ترصدان ماذا يجري في الأسفل، فضحك ضحكة خافتة. ثم غمغم وهو ينظر إليهما ويتأمل كم هما شابتان وجميلتان: «غداء رائع! اثنتان في وجبة واحدة!» وأطلق صرخة الحرب بعواء مرتفع، فنقل إله الصدى صرخته تلك إلى الفتاتين.

هتفت هانا متشبثة بذراع شقيقتها: «أوه! اسمعي!».

ثم هدرت الصرخة مرة أخرى، ورددها إله الصدى أيضاً.

قالت الأخت الصغرى: «أوه، أوه! ألم أخبرك يا أختي؟ كيف خرجنا في هذا اليوم!».

هربت الفتاتان؛ ثم توقفتا لتصغيا. لكن عندما لم تسمعا المزيد من الصرخات، عادتا إلى الغدير لغسل ملابسهما على بعض الصخور المسطحة.

لكن آتاشايا انتزع أسلحته وبدأ ينزل الجبل. مغمغماً وضاحكاً في سرّه أثناء ذهابه: «غداء رائع! اثنتان في وجبة واحدة!».

حول زاوية الهضبة العظيمة، على الرفوف العالية التي تقف عليها بلدة المنحدرات، هناك هضبتان ضخمتان شديدتا الانحدار تسميان جبل التوأم. وقد عاش على قمة هذا الجبل آهايوتو وماتسيليما.

ربما لا تعلمون من هما آهايوتو وماتسيليما. حسناً، سوف أخبركم. إنهما الولدان التوأمان لإله الشمس وإلهة المياه. فقبل أن يرى البشر النور، عشق إله الشمس آلهة المياه، وبفعل دفئه ونظراته المشرقة، اندفع زبد البحر على وجه المحيط العظيم وغطى الأرض. ثم أنجبا هذين الصبيين الرائعين.

جفف إله الشمس المياه من أعالي الجبال، فولدت أمنا الأرض هذين الصبيين من أحشائها، وأرشدتهم نحو الغرب إلى بيت والدهم الشمس. وأزف الوقت أيضاً، فظهرت الحرب والعديد من الأمور الغريبة المماثلة كي تدمر أولاد الأرض، ثم غيرت الكائنات الثمانية الصارمة قلب التوأمين فجعلتهما بلسم الحرب. وأصبحا يعرفان منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا بآهايوتو وماتسيليما (المبجلان، الاثنان الرهيبان، الصبيان إلها الحرب).

وعلى الرغم من تغيرهما، إلا أنهما ما زالا يحرسان أسلافنا ويرشدانهم إلى وسط العالم، حيث نعيش نحن الآن. فقد مُنحا قلبي بلسم الحرب، وبحكمة والدهما إله الشمس - تقريباً - أصبحا حارسي شعوب الأرض اللذين لا يهزما، وجعلا من قوس قزح قوسهما ومن الصواعق سهامهما، ومن البرق السريع رماحهما، ذات الرؤوس الفيروزية، لقد كانا أعظم محاربين في أيامنا الذهبية. وحين قهرا أخيراً معظم أعدائهما من البشر، اختارا بعضاً من أتباعهما وعلماهم الأغنيات والصلوات والطقوس الخاصة بمجتمع المحاربين وأطلقا عليهم اسم الأبناء، كهنة القوس الحربي، ثم اختارا اثنين من الأكثر حكمة، ونفثا داخل أنفيهما. ومنذ ذلك الحين ونحن نصنع رموزاً لوجودهما ونضعها في كل عام عند منتصف النهار على قمة جبل الرعد، جبل هذين المبجلين، حتى يعرفا أننا نذكرهما فيحرسان أرض زوني منذ شروق الشمس وحتى غروبها ويقطعان كل السبل على الأعداء الطامعين.

كان آهايوتو- الأخ الأكبر- وماتسيليما - الأخ الأصغر- يعيشان مع جدتهما على جبل التوأم.

قال الأخ الأكبر للأخ الأصغر في ذلك الصباح: «يا أخي، دعنا نذهب للصيد. إنه يوم جميل. ما رأيك؟».

قال الأصغر: «أنا مستعد للذهاب، فالرجال لا يقبعون في منازلهم»، ثم ارتدى خوذة من جلد الأيل وتناول جعبة من جلد الأسد من قرن وعل بجانب السلم.

زعقت الجدة من الأسفل: «إلى أين تذهبان الآن أيها الصبيان؟ ألن تعتزما قطّ الكف عن إثارة قلقي، حتى عندما تعج الأمكنة بالأشياء المخيفة مثل حرب مقززة؟».

ضحك الأخوان وهما يشدان قوسيهما ويقومان سهامهما أمام النار، وقالا: «آه يا جدتي، لا تقلقي علينا؛ نحن ذاهبان فقط إلى الصيد»، وقبل أن تتمكن الجدة من الصعود لمنعهما من الذهاب، كانا يثبان بين الصخور إلى الأسفل نحو المنحدرات.

وفجأة توقف الأخ الأصغر قائلاً: «آها! أصغ يا أخي! إنها صرخة آتاشايا، لا بد أن هذا الوغد قد خرج ليتسبب بالدموع!».

رد الأكبر: «نعم، إنه آتاشايا، وعلينا أن نوقفه! تعال، تعال؛ أسرع!».

قال الأصغر: «انتظر يا أخي، انتظر! أبطئ خطواتك قليلاً. إنه يقتفي أثر فتاتي هيشوكتا! فقد رأيتهما تذهبان إلى الغدير عندما نزلت. يجب أن يموت هذا الوحش اليوم. هل أنت جاهز؟».

قال الأكبر: «أنا جاهز؛ هيا بنا».

هتف الأخ الأصغر مرة أخرى: «قلت لك تريث قليلاً، ألا تعلم أن الشيطان الطاعن في السن يسلك هذه الطريق؟ وهو لن يؤذي الفتاتين إلا حين يأخذهما معه إلى البيت. أنت تعلم أنه كاذب كبير ومتملق لجوج؛ فهو يقتنص الناس بهذه الطريقة. الآن إذا انتظرنا هنا فإننا بالتأكيد سنراهما حين تمران».

وهكذا وبعد أن تجادلا قليلاً، وافق الأخ الأكبر على الجلوس فوق صخرة تطل على ذلك الطريق، الذي يقع في مرمى كهف الشيطان.

وبينما كانت الفتيان تغسلان، ركض آتاشايا بكل ما واتته مفاصله المنهكة من سرعة حتى سمعت الفتاتان صوت تمتمته وقعقعة أسلحته.

قالت الأخت الصغرى: «إن شيئاً ما قادم، يا أختي!»، فجرت الاثنتان نحو الصخور لتختبئا ثانية، لكن الأوان كان قد

فات. فقد ظهر الشيطان لهما فجأة، وحدق بعينيه المحتقنتين بالدم ملوحاً بخنجره المثلم المصنوع من حجر الصوان. لكنه عندما اقترب منهما، أنزل خنجره وابتسم، وعدل وقفته مقترباً من الفتاتين الخائفتين بلطف كما قد يفعل شاب رقيق.

تشبثت الأخت الصغرى المسكينة بأختها الكبرى وحنت جذعها مصدرة أنيناً، فقد كانت ابتسامة آتاشايا مخيفة مثل ابتسامة عدو منتصر، أو مثل ضحكة أفعى ذات أجراس حين تسمع شيخاً يختلق كذبة ثم يظن أن الأفعى ستسممه بسببها.

سأل الشيطان: «لماذا تهربان وتنتحبان هكذا؟ أنا أعرفكما. صحيح أنني بشع ومسن، أيتها الفتاتان الجميلتان، لكنني بمثابة جد لكما ولا أضمر لكما أي سوء على الإطلاق. لقد أخفتكما لأني كنت متأكداً بأنكما ستهربان مني إن استطعتما».

تلعثمت الأخت الكبرى متجاوزة خوفها على الفور: «آه! لم نكن نعرفك لذلك خفنا منك. تعالي يا أختي، تعالي، أشرقي بعينيك وأفكارك، فإن جدنا لن يؤذينا. ألا ترين ذلك؟».

بيد أن الأخت الصغرى اكتفت بهز رأسها ونشجت. ثم ثارت حفيظة الشيطان فزأر ملوحاً بخنجره بطيش في الهواء:

«علامَ تنتحبين؟ أترين هذا الخنجر؟ اليوم سأقطع به فجر حياتك إن لم تبتلعي أنينك هذا!».

همست الأخت الكبرى: «انهضي، هيا انهضي يا هانا!»، لكنها شعرت ببعض الفزع مرة أخرى. ثم تابعت: «بالطبع لن يؤذينا هذا الشيطان إن أطعنا أوامره؛ أوليس أفضل بكثير أن يلمع وميض حياتنا بين مشاعر الخوف والحزن، من أن يختفي نهائياً؟ فمن يستطيع أن يتوقع كيف يمكن أن تقودنا الدروب عبر ظلمة ليل الموت؟».

أنتم تعرفون أن شرائع حكام العالم والقدماء[1] تقول: «إن ضوء الإنسان لا ينقطع إلا حين تسلب حياته منه، وعندما يموت فإنه يأتي إلى المكان المعد للتقسيم في هذه الحياة.

قررت هانا أن تستجمع قواها وتقف على قدميها، مع أنها ظلت ترتعد.

قال الشيطان بلطف مرة أخرى: «والآن أيتها العذراوان الجميلتان، يا حفيدتي، أنا في غاية السعادة لأني وجدتكما. الشكر للآلهة! فأنا عجوز فقير وحيد. ولم يتبق لي أحد». وتنهد كقط بري وتابع مشيراً إلى الأعلى: «هناك فوق يقبع منزلي، وبما أنني

(1) تعبير يراد به الآلهة (كاشنغ).

صياد ماهر، فإنني أشوي العديد من الطرائد في حجرتي الخلفية، كما أن لدي أكثر مما أستطيع تناوله من خبز الحلوى. وكم يؤلمني تناول الطعام في منزلي وحدي، وحين رأيتكما وعرفت كم أنتما جميلتان ولطيفتان، فكرت بأنكما قد تعملان معي معروفاً، وتتفضلان إلى بيتي لتشاركاني طرائدي الوفيرة ولتشربا من أوانيّ. وعلاوة على ذلك، فأنا عجوز جداً فلا أستطيع أن أحمل جرة مملوءة بالماء إلى منزلي إلا بين الحين والآخر. لذلك فقد جئت بسرعة لأرجوكما أن ترافقاني وتتناولا الطعام معي».

اطمأنت الأخت الكبرى ثانية لكلامه اللطيف فسارعت إلى القول: «طبعاً، سنتشرف بالذهاب مع جدنا، وإن كان هذا فقط ما تريده منا، فبإمكاننا أن نملأ لك جرار الماء، أليس كذلك يا هانا؟».

فقال الشيطان الهرم لها: «أنت فتاة طيبة»، ثم حدق بالأخت الصغرى وأردف: «أحضري تلك الحمقاء معك واصعدي؛ فهي لن تأتي من تلقاء نفسها؛ فهي خجولة أكثر مما هي عاقلة، لكنها أقل صواباً من خنجري، لأن من شأن قتل الحمقى أن يجعل العالم أكثر حكمة».

فاستهل الشيطان الطريق وتبعته الأخت الكبرى، وهي تجر شقيقتها المتشنجة هانا.

وبينما يتسلقون الطريق، تابع الشيطان حديثه بصوت عالٍ راوياً كل أنـواع الحكايات المسلية، حتى اقتربوا من الصخور التي كان الأخـوان ماتسيليما وآهايوتو ينتظران عندها، فسمعه الأخـوان وقال أحدهما للآخر: «آه، لقد وصلوا!».

ثم قفز الأخ الأكـبر وبـدأ يشد وتر قوسه، لكن الأخ الأصغر تمتم: «اجلس، اجلس أيها الأحمق!»، لكن أذني آتاشايا كانتا كـأذني وطـواط، مع أنهما أكبر حجماً. تابع ماتسيليما: «انتظر الآن، إلى أن أقول استعد. فأنت تعلم بأنه لن يؤذي الفتاتين حتى يخرج بهما من منزله. انظر إلى هناك أمام مسكنه. هل ترى ذلك المكان المنبسط الذي يؤدي إلى فجوة عميقة في الخلف؟».

رد الأخ الأكبر: «نعم، لكن ما الذي تريد قوله؟».

في ذلك المكان هناك يقطع الشيطان حناجر ضحاياه ويلقي بعظامهم ورؤوسهم إلى داخل الفجوة! هل ترى ذلك الثلم الذي في الصخرة؟ هناك يترك دماءهم تتدفق نحو الأسفل، ولذلك لم يستطع أحد قط أن يقتفي آثاره يوماً. تمهل قليلاً الآن، وسنرى ما علينا فعله عندما يحين الوقت».

فجلسا مرة أخرى وانتظرا بينما مرت الفتاتان برفقة الشيطان، فتحرك الأخ الأكبر وكاد يطلق سهماً لولا أن ماتسيليما أوقفه قائلاً: «يا لك من أخ أكبر أحمق، كما أنك لست حكيماً على الإطلاق. ألا تعلم أن سهمك سريع كالبرق ويمكن أن يتسبب بقتل الفتاتين وليس الوحش فحسب؟».

وصل الشيطان أخيراً إلى مدخل كهفه، ودخل طالباً من الفتاتين أن تتبعاه، حيث وضع لهما لوحين لتجلسا عليهما. قال الشيطان للفتاتين: «اجلسا الآن يا فتاتيّ الجميلتين، وسأحضر لكما حالاً شيئاً لتأكلانه. لابد من أنكما جائعتان». ثم توجه إلى حجرته الخلفية وفتح فرناً من الحجر فتصاعد منه البخار الشهي الدسم الرائحة. وعلى الفور أحضر وعاءين كبيرين جداً، يكفيان لإطعام أفراد رقصة كاملة. ضم أحدهما اللحم، أما الآخر فاحتوى على كمية من الطعام الذي يشبه حلوى الخبز. ثم قال الشيطان: «فلنأكل الآن»، وجلس أمام الفتاتين و أقحم أصابعه المعقوفة وذراعه ذات الحراشف في مرق اللحم حتى المعصم. بدأت الأخت الكبرى بقضم لقيمات صغيرة من الطعام وأكلها، عندما أشارت لها أختها الصغرى برعب لتريها عظام يد صغيرة. فلم تكن حلوى الخبز سوى لحوم أطفال

صغار وعظامهم. فتظاهرت الفتاتان بأنهما تأكلان، إلا أنهما صارتا تأخذان الطعام وترميانه بجانب الأوعية.

سأل الشيطان وهو يحشو في حلقه العريض لقمة كبيرة من اللحم والعظام: «لماذا لا تأكلان؟».

قالت إحداهما: «إننا نأكل».

«لماذا إذن ترميان طعامي هنا وهناك؟».

«إننا نرمي العظام فحسب».

رد الشيطان آخذاً لقمة كبيرة أخرى كافية لوجبة رجل ناضج: «حسن، لكن العظام هي أفضل جزء»، ثم أضاف: «آه، نعم! نسيت أن لكما أسناناً لبنية!».

بعد أن انتهت الوجبة، قال الشيطان العجوز: «فلنخرج ونجلس تحت الشمس على سطح بيتي. ربما تتفضلان أيتها العذراوان وتمشطان شعر رجل هرم، فليس لدي أحد يساعدني الآن»، وتنهد متظاهراً بالحزن الشديد. ومن دون أن ينتظر موافقة الفتاتين جلس أمامهما وأحنى رأسه حتى تمشط إحداهما شعره. لم تجرؤ العذراوان على العصيان؛ فراحتا تجذبان شعره الطويل الخشن

بين حين و آخر وتطقطقان أصابعهما بالقرب من فروة رأسه حتى يشخر بارتياح في كل مرة تفعلان ذلك. وفي النهاية أصاب التعب الشديد ركبتيهما بسبب ثقل وزنه فوقهما، فنهض آتاشايا متظاهراً بالسرور العارم، وشكرهما مراراً. ثم طلب منهما أن تجلسا أمامه، لأنه سيمشط لهما شعرهما كما مشطتا شعره، وقال لهما ألا تهتما إذا آلمهما قليلاً لأن أصابعه قاسية وهرمة. ولم تجرؤ الفتاتان على العصيان أيضاً فجلستا كما طلب منهما. لكن آه! كيف ابتسم الوحش العجوز وحملق بعينيه وتنفس من خلال أسنانه.

كان الأخوان يراقبان كل شيء بحذر، وكان الأخ الأكبر ينهض ثم يجلس بين الحين والآخر، أما الأصغر فقد ظلّ هادئاً طوال الوقت. فجأة، وثب ماتسيليما. وقام بالتقاط الترس الذي منحه إياه والده إله الشمس، ومع أنه مصنوع فقط من الشباك والحبال المعقودة، إلا أنه مؤهّل للتصدي لجميع أسلحة المحاربين أو سحر العرافين. صرخ آهايوتو رافعاً الترس إلى أعلى: «ابق مستعداً؛ فقد حان الوقت! إذا أخطأته، اطعنه بسهمك. الآن...».

ثم رمى الترس بقوة في الهواء. وبسرعة صقر وهدوء بوم، حلق الترس إلى فوق رؤوس العذارى واستقر بينهن وبين وجه الشيطان. كان الترس غير مرئي، فلم يعلم الشيطان بوجوده

هناك. فانحنى كما لو أنه يفحص رأسي العذراوين. وفتح فمه الكبير، واقترب أكثر، وهم بعض الأخت الكبرى عضة وحشية.

«آي، آي! يا أختي المسكينة، واحسرتاه!»، وانخرطت الفتاتان بالبكاء والعويل، ثم انحنتا بخوف ترقبان هلاكهما في أي لحظة.

إلا أن أسنان الشيطان انغرزت بشراك الترس الخفي، فعوى بغيظ، وبدأ يكافح لتخليص نفسه من هذا الشرك. سحب آهايوتو رمحاً وأطلقه باتجاه الشيطان. وبهدير مدوٍّ يصدع الصخور وهبة من الرياح العاتية، توهج السهم في الهواء وغاص في كتفي الشيطان، ممزقاً جسده بينما كان الرعد يدوي في المكان. كانت وثبات الأخوين وخطواتهما سريعة كنعاج الجبال، فقد قفزا على الرف الصخري واستلا هراوتيهما الحربيتين وحالاً أخذا يسحقان بهما جمجمة الشيطان الصلبة. أنقذ الخوف الأخت الصغرى من الأذى؛ بينما جثمت الأخت الكبرى في مكانها، دون أي إدراك.

صرخ آهايوتو: «انتظر! فهي تتحمل كامل اللوم، لكن...»، ثم رفع العذراء الغائبة عن الوعي بذراعيه القويتين الصغيرتين، ووضعها بعيداً، ونفث في منخريها، فعادت عيناها تنظران بإدراك.

«في هذا اليوم، وبقوة قلبي بلسم الحرب، اللذين أعطيا لنا، قتلنا-خدمة لوالدنا- عدواً لأولادنا البشر. وحش يتّم الأولاد، ورمّل النساء، كما رمّل الرجال أيضاً (الذين استدرجهم بإرادته الشريرة)، وقد ألقي هذا الوحش-الذي سبب كل تلك الدموع والأفكار الكئيبة-على الأرض وقد نظرنا إليه ممدداً هناك. عسى أن تتنعم بفضائل الآلهة دائماً».

قال الأخوان ذلك وهما واقفان فوق الشيطان المحتضر الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة؛ وبينما ختما صلاتهما القصيرة، عرفت الفتاتان من عليهما أن تشكرا لإنقاذ حياتيهما، لكنهما كانتا غارقتين بالسرور والحياء. فهتفتا باستجابة مع الصلاة: «عسى أن تفوزا ونفوز بفضائل الآلهة!».

ثم انحنتا لتقبيل أيديهما.

استدار الأخوان نحو الفتاتين قائلين: «انظرا إلى آخر أعداء البشر، الذي أُعطينا اليوم قوة بلسم الحرب من أجل تدميره؛ والذي نظر إليه اليوم والدنا-إله الشمس-ووالد الناس جميعاً، وأطفأت أسلحتنا اليوم وميض عمره؛ وقطع والدنا سبيل حياته. لسنا نحن من نفعل بل والدنا هو الذي يفعل من خلالنا. أسرعا إلى بيتكما في هيشوكتا وأخبرا والدكما

بهذه الأشياء؛ وقولا له أن يصلي، لأن عليه أن يجمع الكهنة ويعلمهم بكلماتنا. فعلينا الآن أن نعود إلى منزلنا الأزلي في الجبال... أحدنا إلى جبل الرعد والآخر إلى الجبل المبجل. لكي نحرس منذ الشروق وحتى غروب الشمس أرض كهنة الذرة، فلا يتجرأ أحمق على إهمال هذه الأرض وجعلها قاحلة. وعلى الرغم من ذلك، علينا أن نطلب من أولادنا الريش الذي سنتزين به، وصور شخصيتينا التي يجددنا الناس بها كل عام في منتصف النهار. فمن الآن وصاعداً، سيرى الناس نجمتين عند الصباح وعند المساء، واحدة تسبق إله الشمس في قدومه والأخرى تتبعه عند رحيله. إحداهما هي رسول إله الشمس آهايوتو؛ والأخرى هي حارسه ماتسيليما، وهما محاربان وأبوان للبشر. اذهبا الآن بسرور».

قبلت العذراوان يدي التوأمين، وأحنتا رأسيهما وصلتا شكراً لهما، ثم انطلقتا في طريقهما إلى بلدة المنحدرات. وعندما وصلتا إلى المنزل، سألهما والدهما الشيخ أين كانتا. فأخبرتاه بقصة مغامرتهما ورددتا كلمات المبجلين.

أحنى الشيخ رأسه قائلاً: «لقد كان هذان آهايوتو وماتسيليما!»، ثم تلا صلاة شكر، و نثر في الهواء مسحوقاً من

الذرة البيضاء والأصداف من مياه العالم العظيمة، بالإضافة إلى غبار طلع من زهور بهية وألوان الحرب.

ثم قال: «هذا حسن! بعد أربعة أيام من الآن، سأجمع محاربيّ، وسنقطع ريش الببغاء، نلونها ونزينها، ومن ثم نضعها في أعالي الجبال، لكي يأتي المحاربان المبجلان ويأخذاها بدرايتهما وبقوة بلسم الحرب التي يملكانها».

بعد أن اختفت العذراوان بين الصخور في الأسفل، نظر الأخوان أحدهما إلى الآخر وضحكا. ثم صرخا، وركل آهايوتو جسد آتاشايا فأصدر قرقرة، ثم صاحا بصخب: «هذا ما تستحق أن تعامل به، أيها الوحش المسن!».

ثم قال آهايوتو: «لكن يا أخي الأصغر، ماذا سنفعل به الآن؟».

قال ميتسيليما: «فلنسلخ جلده».

وهكذا جلسا وبدأا يسلخان جسد الشيطان من أخمص قدميه حتى رأسه، كما يسلخ أحد ما ظبياً إذا أراد صنع حقيبة

للبذور. ثم وضعوا أعواداً في الذراعين والساقين، وربطوها بالحبال، وقاما بحشو الجسد بالأعشاب اليابسة والطحالب؛ وحيث وضعا هذا الشيء أمام المنحدر، بدا وكأن آتاشايا الحقيقي حي.

قال ماتسيليما: «آه! يا له من وحش دميم!»، ثم أطلق صيحة عالية وضحك بصوت أعلى منها قائلاً: «ألن نلهو قليلاً مع جدتنا؟ أسرع ولننته من بقيته!».

قطعا الرأس وقال له آهايوتو: «بما أنك كنت كاذباً، تختلق الأكاذيب لجميع من قتلتهم في هذا العالم؛ لذلك فسوف تصبح نجمة كاذبة، وسيرى البشر في كل أنحاء الأرض إثمك في كل ليلة». ثم أدار الرأس الملطخ بالدماء مرة أو مرتين، وقذفه بكل عزم إلى السماء حتى وصل إلى قلبها مثل دم متدفق، وهو الآن نجمة حمراء كبيرة، تبزغ في فصل الصيف لتعلن قدوم الصباح التالي ونحن لا نزال في منتصف الليل؛ وتدعى هذه النجمة بالنجمة الكاذبة الكبيرة.

ثم استلّ ماتسيليما خنجره الكبير ومزق جوف الشيطان بضربة واحدة. وأمسك بالأمعاء وقطعها قائلاً: «لقد افترست لحوم رجال من شتى أنحاء العالم؛ لذلك يجب أن يمتد جسدك

من إحدى نهايات الأرض وحتى النهاية الأخرى، وسينظر إليك أبناء هؤلاء الرجال في كل ليلة ويقولون لبعضهم بعضاً: إن أحشاءه التي سببت الأفكار الحزينة لأجدادنا تلمع بشكل جيد اليوم! وسيضحكون عليك ويهزؤون بك». ورمى بها عالياً، فامتدت من إحدى نهايات الأرض إلى النهاية الأخرى، وأصبحت ما ندعوه جرف السماوات الثلجي (أو درب التبانة). ثم رفعا بقية الجثة وألقياها في الصدع الذي رمى الشيطان فيه العديد من ضحاياه، فخرجت الأفاعي ذات الأجراس وأكلت من لحمه يوماً بعد يوم حتى اصفرّت أنيابها بسبب اللحم المتعفن، ولا تزال أنياب سلالتها صفراء وسامّة حتى اليوم.

ثم صرخ ميتسيليما: «فلنمرح قليلاً الآن! أمسك تلك الحقيبة العجوز للأعلى وتبختر بها قليلاً؛ وسأركض لأرى كيف سيبدو ذلك».

أمسك آهايوتو الدمية، وأخفى نفسه خلفها، وشد الحبال الموثقة بها، فبدا الأمر وكأن آتاشايا الحقيقي خارج ليصطاد، لأنهما ألبساه جلود الأسود وربطا قوسه إلى يده.

هتف الصبيان: «ممتاز! ممتاز!»، وصفقا بأيديهما حتى شعرا

بالألم. ثم جرا الجلد وهما يركضان بأقصى سرعتهما إلى السهل الذي يقع أسفل جبل التوأم.

بدأت الشمس تنحدر نحو الجهة الغربية، بينما الجدة شاخصة نحو الجبال والوديان لترى إن كان الصبيان قد وصلا. كانت قد تسلقت السلم للتو وأخذت تحدق وتقول: «أوه! يا لهذين الصبيين! إنهما حشرتان مزعجتان عديمتا الرحمة، وطويلا الأناة في أمورهما الخاصة مثل سلحفاة! لا بد أن شيئاً ما قد حدث لهما؛ أنا على يقين من ذلك». وعندها تعالت صرخة مرعبة من الأسفل.

صرخ الصوت المكروب: «تعالوا بسرعة! النجدة! النجدة!».

هتفت الجـدة: «آه!» ثم ذهبت بسرعة كبيرة مهرولة باضطراب وإثارة، ثم قفزت وهي تشتم وتئن.

أمسكت حزمة من شجر الصنوبر، واندفعت خارج البيت. ولم يكن هذا سوى ميتسيليما المسكين يركض طالباً النجدة. عرجت الجدة على الطريق الوعر بأقصى سرعتها، حين نظرت فجأة إلى المنحدر، فرأت آهايوتو يناضل للفرار من بين براثن آتاشايا.

صرخت الجدة العجوز: «آه! لقد عرفت أن مكروهاً سيحدث!» ثم ركضت مسافة كافية لترى حفيدها المسكين منهك القوى تماماً وأن ميتسيليما قد فقد هراوته الحربية. فقالت: «اصمدا قليلاً بعد يا ولدي، انتظرا قليلاً»، نفخت الجدة صدرها واندفعت بغضب شديد تضرب الدمية بقضيب إذكاء النار، حتى تصاعد الغبار من الأعشاب الجافة وانثنى الجلد كأنه في حالة من الألم الشديد.

تدحرج ميتسيليما على الأعشاب، وانفجر آهايوتو ضاحكاً حتى اضطر إلى ترك الشيطان المحشو يسقط أرضاً. إلا أن الجدة العجوز لم تتوقف أبداً. واستمرت في ضرب الشيطان ولعن قلبه الآكل للحوم البشر وقالت له إن هذا هو جزاؤه على ملاحقة حفيديها، وإن وإن وإن... وظلت تضربه وتضربه بلا توقف حتى ظنت أن الوحش مات بكل تأكيد. ثم جلست تستريح عندما سحب الصبيان الأربطة فوثب الشيطان مرة أخرى أمامها، فظنت أنه ربما لن يموت أبداً. وانهمكت في ضربه، لكن ضرباتها أخذت تخبو وتضعف رويداً رويداً، وبدأت أنفاسها تتسارع شيئاً فشيئاً، حتى انقطع نفسها وسقطت على الأرض مغشياً عليها.

يا لهذين الصبيين كيف ضحكا وتدحرجا على الأرض بينما الجدة العجوز تئن: «واحسرتاه! واحسرتاه! لقد حان يومي... لقد... خبا الضوء... وانتهت أنفاسي... بسرعة».

غطت العجوز رأسها بثوبها البالي؛ لكنها حين رأت أن آتاشايا لم يتحرك، رفعت عينيها ونظرت من خلال شق صغير. فرأت حفيديها يتدحرجان ويركلان العشب ويمسكان أفواههما بكلتا يديهما، وقد احمَّر وجهاهما من شدة الضحك وعيناهما أيضاً. ثم نظرت فجأة إلى الشيطان. فوجدت جلده ملقى على الأرض ممزقاً مشوهاً من كثرة الضرب.

فقالت الجدة بحدة: «أيها الوغدان المزعجان! هكذا إذن تعاملانني، أليس كذلك؟ لن أساعدكما بعد اليوم، أبداً! ولن تعيشا معي بعد الآن!» ثم نهضت وعرجت مبتعدة.

لكن الصبيان لم يأخذا ذلك عل محمل الجدّ. فقد ضحكا حتى أصبحت الجدة بعيدة جداً عنهما، ثم قال أحدهما للآخر: «لقد أنجزنا ذلك!».

ومنذ ذلك الوقت لا يعلم أحد إلى أين رحلت الجدة. وأما آهايوتو وميتسيليما فهما الآن نجمتان مشعتان تبزغان في النهار

وفي المساء، قبل قدوم والدهما إله الشمس وبعده. ولا تزال روحاهما ترفرفان على ضريحيهما فوق جبل الرعد وجبل المبجل، وكثيراً ما تتردد في وسط العالم، لتحمي الطرائد وتحرس محاربي أرض زوني. هكذا حدث في قديم الأزمنة.

وهكذا تنتهي حكايتي.

الناسك ميتسينا

حين أعلن الكون ميلاد كل شيء جديد، وسكنت الآلهة بيوت القدماء، قبل زمن أجدادنا القدماء بوقت طويل جداً، انقسمت الآلهة إلى مجموعتين، فكرس بعضها لعمل الخير وانهمك بعضها الآخر في عمل الشر أو إنجاز مهمات تتعدى فهم البشر. لقد كانت آلهة النوايا الشريرة في منتهى السوء حتى إنها لم تستطع أن تكون في جماعة ومجلس كاكا المحبوب المبجل.

وهكذا حدث، في زمن أجدادنا، منذ وقت طويل، إذ عاش في وادي الصنوبر، جنوب شرق «زوني»، ناسك يدعى ميتسينا. لقد كان من أصحاب النوايا الشريرة؛ لذلك قالت له الآلهة: «سوف تعيش وحدك، فأنت شرير وغير حكيم في تصرفاتك، إلى أن نجد في سلوكك أنك صرت مؤهلاً لتحيا بيننا». وهكذا عاش ميتسينا وحده في مسكنه في وادي الصنوبر.

وأحياناً حين يرتدي شاب أفضل ما عنده من أثواب (عقوده المصنوعة من الصدف، وأقراطه الفيروزية، وباقي الأشياء الثمينة التي كانت كثيرة في أيام أجدادنا)، ويخرج للصيد، فقد يتفق له أن يمر عبر وادي الصنوبر وبالقرب من منزل ميتسينا، فيسمع أصوات المراهنة القادمة من الداخل؛ فلكونه وحيداً، أمضى الناسك وقته في ممارسة لعبة السهام المقدسة.

كان طبله المجدول كالسلال يتأرجح معلقاً في سقف بيته، مصنوعاً من إناء مجدول، تشد على فوهته قطعة من جلد الغزال، كما هي الطبول المجدولة التي نستخدمها في لعبة عيدان القصب في يومنا هذا، حيث تعلق والجهة الجلدية نحو الأسفل متدلية من سقوف غرف اللعب في أسمى المنازل في بلدتنا. وعلى الرغم من أن الطبل الذي كان يملكه ميتسينا ليس بأفضل مما نملك اليوم، عدا أنه ربما كان أكبر وأضخم، إذ أطلق عليه لقب قبته الداكنة، متذكراً طبله الذي كان يستخدمه أثناء اللعب مع أصحابه السابقين، الآلهة، والذي كان كالسماء المدورة تماماً، بالسحب الممتدة عبره. ولطالما مد بساطاً من جلد الجاموس على أرضية منزله، وكان جلده في جهته العليا مزيناً، ناعماً وأملس، ناصع البياض كدقيق الذرة، وقد رسمت عليه رموز ملونة

بجميع الألوان وعلامات العد المستخدمة في اللعبة. وكان يتبهج لتسميته بساطه بالأملس المقدس، مذكراً نفسه ببساط الآلهة، الذي هو البسيطة بحد ذاتها، تحدوها الآفاق الممتدة، وتطرزها الجبال والوديان والقرى الساحرة، التي هي الرموز وعلامات اللعب التي سخرها الآلهة بأنفسهم لعد النقاط التي حصلوا عليها في اللعبة.

وعند سماع الأصوات الصادرة عن هذه اللعبة، سوف ينجذب الشاب للاقتراب والإصغاء. ومع أنه وحيد دوماً، فهو يهتف فرحاً في كل مرة يرمي رمية موفقة وبينما تصيب العيدان جلد الطبل في الأعلى، فإنها تصدر أصواتاً معينة، و تقعقع حين تسقط على جلد الجاموس. فيهتف ميتسينا المسن: «ها! ها!»، كأنه يتبهج بانتصاره على خصمه في اللعبة، وكأنه يقول: «أحسنت يا صديقي! فإن رمز الذرة البيضاء يسبق!».

يهتف الشاب بعد سماعه ذلك: «آه!» متمنياً أن يتعلم أكثر عن ذلك الأمر، يتسلق السلم خلسة للأعلى ويسترق النظر من الكوة السماوية. يلمح ميتسينا الشاب، طبعاً، فيحييه بحرارة ويدعوه قائلاً: «ادخل، ادخل، يا رفيقي اليافع، ادخل؛ دعنا نلعب معاً!».

لكن ميتسينا قد تدرب طويلاً فاكتسب مهارات أكثر من غيره في العالم–والبشر على الأخص؛ لذلك ففي أي وقت يصادف أن يلعب معه شاب ما، فإنه يخسر باستمرار، يا للمسكين! كانت القلادات معلقة على العمود الموازي للجهة الشمالية من منزل ميتسينا، بالإضافة إلى العباءات المطرزة وأحجار الفيروز وجميع أنواع الكنوز التي كسبها بهذه الطريقة؛ كما علق الكثير من هذه الكنوز على الجهة الغربية والجنوبية والشرقية أيضاً.

وعندما يدخل الشاب، يقول ميتسينا: «صديقي الطيب، اجلس هناك. هل أحضرت عيدان القصب الخاصة بك اليوم؟»، فإذا أجاب الشاب بنعم، فإن ميتسينا سيقول «هذا جيد». أما إن أجاب الشاب بلا، فإن ميتسينا سيقول: «لا عليك، لدي البعض منها»، مخرجاً مجموعة جيدة من عيدان القصب الململعة. أما الشاب، كونه مرغماً على اللعب، فإنه سيراهن بقلادته أو بقرطيه، ثم ستبدأ اللعبة. وبعد أن يخسرها، سيراهن بملابسه، ثم بقوسه وسهامه–في الواقع فإنه سيراهن على كل مايملك.

وأنتم تعلمون كيف تصبح حال المقامرين حين يخسرون مقداراً كبيراً من المال، فيرغبون باسترجاع مالهم ثانية. وهذا ما يحدث حينئذ. عندما يخسر الشاب كل شيء، فإنه يحني

رأسه على كفه، ويجلس مفكراً. ثم يقول ميتسينا بطريقة مبتهجة شريرة: «راهن على فخذك الأيسر. وسأراهن بكل ما خسرتَه وأكثر أيضاً. فيقول الشاب لنفسه، بتنهيدة ارتياح: «يا لك من عجوز أحمق!» ثم يجيب: «حسناً! سأقبل بالرهان». يا للأسف! فإنه يخسر الفخذ التي راهن عليها؛ ثم يخسر الأخرى بالطريقة ذاتها؛ ثم أحد جنبيه وإحدى ذراعيه؛ وهكذا حتى يراهن على كامل جسده، حتى رأسه.

ثم يقول في يأس تام: «افعل بي ما تشاء. فأنا عبد لك». ثم يأتي ميتسينا بالبهجة الشريرة ذاتها ويمسك الشاب، ويخرجه إلى خلف منزله حيث يلوي عنقه كي لا تذاع خسارته حين يشكي لأقاربه.

مرة أخرى، يأتي شاب آخر مجهز جيداً ماراً من تلك الطريق، وبسماع تلك الأصوات الصادرة عن ذلك اللاعب الوحيد، فإنه ينجذب إلى هناك، وينجذب للعب بالطريقة ذاتها، فيخسر كل شيء، ثم يلوي ميتسينا عنقه ويظفر بكنوزه.

وهكذا جرى في أيام أجدادنا القدماء. وكانت خسارة الشبان هائلة، كما هلك العديد منهم.

وفي يوم من الأيام، خرج آهايوتو وماتسيليما – وهما إلها الحرب في أوقات السلم – لصيد الأرانب وكلاب المروج، وقد كانا يعيشان مع جدتهما حيث ينتصب ضريحهما في «جبل الوجه». وقد تصادف أنهما وبينما يطاردان الأرانب بموازاة الجروف الصخرية لأحد الوديان، وصلا إلى وادي الصنوبر، بقرب منزل ميتسينا. ثم سمعا أصوات لعبه. حيث يتعالى هتاف هذا الشيخ وهو يرمي عيدانه في الهواء: «هو، هو!» ثم تقعقع العيدان عند سقوطها على البساط الجلدي.

هتف الأخ الأكبر آهايوتو: «آه! اسمع يا أخي».

أصغى الأخ الأصغر فسمع أحدهم يهتف: «سأراهن بعيني»، فقال: «أحدهم يلعب لعبة عيدان القصب. فلندخل ونختلس النظر». فتسلقا السلم وحدقا عبر الكوة السقفية.

وعندها، لمحهما ميتسينا العجوز، فصاح: «ها! يا صديقي الصغيرين؛ أنا سعيد لرؤيتكما اليوم! كيف حالكما؟ ادخلا، ادخلا! أنا متشوق للعب؛ لقد كنت ألعب هنا وحدي تماماً».

نزل الإلهان السلم بحذر، ووضع ميتسينا المسن لهما بساطاً، ودعاهما بكل مودة إلى الجلوس، وسألهما إذا كانا يودان اللعب.

لم يجدا أي مانع، فقد شاهدا كل تلك الأشياء الجميلة المعلقة في أرجاء الغرفة؛ فسحبا بطاقات القصب من أحزمتهما التي كانا يحملانها معهما دائماً.

ربما لم أخبركما أنه حتى الطبل المجدول الذي كان يلعب به ميتسينا، كان مزيناً بالقرطين الفيروزيين اللذين ربحهما، وتحت البساط الجلدي الذي يلعب عليه، تكومت – في كومة كبيرة ممهدة – أجمل العقود التي جمعها من الذين هزمهم في اللعب ثم قتلهم.

أشار العجوز إلى حجرته، وخصوصاً إلى الطبل المزين بالفيروز، ورفع طرف البساط الجلدي مظهراً ما يكفي من القلادات التي تحته لكي يثير شغف إلهي الحرب الصغيرين للحصول عليها. ثم سأل: «بماذا ستراهنان؟».

قال الاثنان بكآبة: «ليس لدينا شيء بالروعة الكافية لنراهن به مقابل هذه الأشياء».

صاح ميتسينا: «أو هو! لا يهم، لا يهم على الإطلاق، أيها الصبيان. راهنا بقوسيكما وسهامكما وثوبيكما؛ راهنا بكل ما تملكان إن أردتما، وسأضع كل شيء هناك على الجهة الجنوبية من غرفتي».

همس الأخ الأصغر للأكبر: «جيد! جيد! قل له إننا موافقان».

فوافق الأخ الأكبر ضاحكاً في سره، لأنه من النادر جداً أن يستطيع بشر أن يهزم إلهي الحرب الصغيرين في لعبة. وهكذا بـدأوا باللعب. وكم قعقعت أحجار الفيروز وهما يرميان بعيدانهم! وكم رنت العيدان عند سقوطها على البساط!

كانت اللعبة مرحة وطويلة، ومتقنة من قبل الطرفين؛ لكن الإلهين الصغيرين المسكينين خسرا. ففقدا هدوءهما؛ ثم برقت عينا ميتسينا بوميض مرح وهتف: «أوه، تباً! لا عليكما، لا عليكما!».

قال إلها الحرب: «نعم، لكن كيف – بحق السماء – سنعود إلى جدتنا بهذه الحال؟»، وهما يلمّحان إلى جسديهما العاريين، فقد راهنا حتى على ثوبيهما الداخليين. ثم تابعا: «علامَ يمكننا أن نراهن أيضاً؟ كيف سنتمكن من إعادة ما خسرناه؟».

قال الناسك المسن: «راهنا على فخذيكما الأيسرين».

فكرا لبرهة، وقررا بأنهما سيفعلان ذلك. فتمت المراهنة وبـدأت اللعبة وقعقعت العيدان بمرح؛ لكنهما خسرا ثانية. فاقترح ميتسينا عليهما المراهنة بفخذيهما الآخرين. ففعلا ذلك وخسرا مرة أخرى.

ثم اقترح أن يراهنا بجنبيهما الأيسرين، آملاً في الحصول على قلبيهما، إلا أن إلهي الحرب اليافعين كانا ماكرين. فقد هتف الأكبر: «حسناً!»، لكن الأصغر قال: «يا للهول! تستطيع أن تراهن بجنبك الأيسر إذا أردت، لكنني سأراهن بجنبي الأيمن، لأن قلبي في الأيسر، ومن سمع يوماً برجل راهن بقلبه!».

قال ميتسينا: «كما تشاء تماماً، لكن إذا راهنتما بجسديكما حتى عنقيكما فإني سأراهن بكل ما خسرتماه وبكل ما لدي أيضاً»، مشيراً إلى مقتنياته الرائعة.

فصاح إلها الحرب: «اتفقنا!». ولعبا مرة أخرى ثم خسرا. ولم يتبق لهما شيء ليراهنا عليه سوى رأسيهما وأذنيهما وعينيهما. فقررا المراهنة بها أيضاً، قائلين لواحدهما الآخر: «ما الفائدة التي سيعود رأسانا علينا بها من دون أجسادنا، حتى ولو كانا أهم رأسين في الوجود؟».

فلعبا ثانية، لكن الرفيقين المسكينين خسرا رأسيهما أيضاً. فهتفا بأسى: «واحسرتاه! واحسرتاه! افعل بنا ما تشاء».

ثم زجهما ميتسينا في معتزل صغير في منزله، وخرج وجمع من أمام بيته كمية كبيرة من الخشب الجاف. ثم قيد قدمي ومعصمي الرفيقين الصغيرين، وألقاهما في مكان قريب من الخشب الجاف، لا ليحرقهما بل ليعذبهما بالنار فقط، ثم أشعل النيران، ليستمتع بشيهما. وحين بدأت النار بسفعهما، أخذا يتلويان ويصرخان بألم، إلا أنهما كانا بمنتهى الصلابة، كما تعلمون، فلم يقتلهما ذلك.

لكن من بإمكانه أن يخفي شيئاً عن ناظري الآلهة؟ فالأخوان الأكبران لإلهي الحرب الصغيرين الأحمقين، آهايوتو وماتسيليما، وكانا يعيشان في جبل الرعد، قد انتبها لما كان يجري. فقال الأكبر وهو يعلق على كتفه جعبة سهامه وحاملاً قوسه: «هيا بنا يا أخي الأصغر، تعال معي إلى بيت ميتسينا لكي نلقنه درساً!»، وهكذا بلمح البصر كانا ينزلان الجبل مسرعين فوق الوادي العريض، ويشقان طريقهما عبر وادي الصنوبر.

كان ميتسينا قد ضاق ذرعاً بمراقبة إلهي الحرب المسكينين فدخل يخطط للعبة جديدة، وأخذ يلمع عيدان القصب متحدثاً مع نفسه، مثل عادته. سحب الإلهان شقيقيهما التعيسين بعيداً عن النار، وتسلقا السلم مختلسين النظر. لمحهما ميتسينا،

وكالعادة دعاهما إلى لعبة. ومبتهجين بمثل بهجته، قبلا التحدي وجلسا. عرض ميتسينا عليهما المراهنة بكل ممتلكاته الجميلة المعلقة على الجهة الشمالية من منزله. ثم سألهما: «بماذا ستراهنان يا رفيقي الصغيرين؟».

قالا: «إذا اشتمل رهانك على هذين الشيطانين الصغيرين اللذين رأيناهما يحترقان بالنار عند دخولنا، فسوف نراهنك بكل ما معنا».

فصاح ميتسينا: «جيد! جيد!» وسحبهما إلى الداخل. تسلق الإلهان خارج المنزل، وسحبا شقيقيهما الصغيرين من أعقابهما وطرحاهما أرضاً حتى يخفيا عطفهما، ثم جلسا وبدآ باللعب. راهنا على أسلحتهما، رافعين خنجر الحرب الذي يحملانه، وسهم البرق المهلك، والأداة المستخدمة لشق الجبال وقهر الشياطين والرجال.

حين استعلم عن قوى تلك الأسلحة، شعر ميتسينا العجوز بالشك حول هوية هذين الاثنين، لكنه صمم على اللعب. فخسر. ثم وضع باقي مقتنياته المعلقة على الجهة المقابلة من الحجرة. لكنه خسر مجدداً ومجدداً حتى فقد أيضاً أحجار الفيروز التي تزين طبله، وقلاداته التي تحت البساط الجلدي، والأشياء التي

كان يلعب بها أيضاً، ومن شدة الإثارة أصبح طائشاً، وظناً منه أن حظه سيعود وسينفذ خطته السابقة، فقد راهن بفخذيه، ثم جنبيه وذراعيه، ثم رأسه وأذنيه، عدا عينيه، وأخيراً راهن بعينيه أيضاً. وفي كل مرة كان إلها الحرب يكسبان الرهان. تهدلت ذراعا المقامر العجوز على جانبيه، وارتمى رأسه فوق صدره، وأصبح عليلاً من شدة الإذلال والكدر.

قال الأخ الأكبر للأصغر: «والآن يا أخي، ماذا سنفعل بهذا الوحش؟».

أجاب الأصغر: «لا أدري، لا يمكننا قتله؛ لكن إذا تركناه يمضي في طريقه، فسوف يستمر في مراهناته بلا توقف، ولن تنتهي المشكلات. ماذا لو جعلنا منه رجلاً صالحاً؟».

سأل الآخر: «كيف؟».

قال: «اقتلع عينيه».

هتف الأول: «رائع!». وبينما ثبت أحدهما الرفيق القديم على الأرض، اقتلع الآخر عينيه، وبسبب الألم والرعب أغمي عليه ولم يعد يذكر شيئاً.

وضع الأخوان الأكبران–إلها الحرب–شقيقيهما الأصغرين على أقدامهما، وتعاون الأربعة في جمع الكنوز والمقتنيات الفخمة التي كسبها ميتسينا من ضحاياه طوال تلك السنوات الماضية؛ فأخذوها معهم حتى يكون بإمكانهم أن يحولوها بقدراتهم المقدسة إلى بركات من أجل أبنائهم القائمين على خدمتهم على الأرض، ومن ثم ستعود كما كانت. وبعد ذلك ذهبوا بعيداً، تاركين ميتسينا الأحمق ليواجه قدره مثل رجل ميت.

وشيئاً فشيئاً عاد الرجل إلى وعيه، حاول أن ينظر حوله، لكنه لم يستطع رؤية شيء.

قال ميتسينا: «ما الذي حدث بحق السماء؟ ما هذا الصداع الذي أشعر به؟ ما الأمر؟ هل حل الظلام؟».

ثم، وبالتدريج، تكررت معه الحالة، فأطلق آهة ألم وأسى، ثم مد يده للأمام، واستشعر الجدار واتكأ عليه رافعاً نفسه وزحف بموازاته، ملتمساً طريقه نحو النافذة، كان لا يزال متشككاً حول ما حدث وهل كان يحلم بكل ذلك في ظلام الليل المطبق، أم أنه حقاً قد فقد كل شيء وحرم من عينيه بسبب هذين القزمين. لكن، حين أخرج يده من

الشباك، شعر بدفء أشعة الشمس يتدفق نحو الداخل، وعرف أن النهار لم ينتهِ بعد، وأن كل ذلك كان صحيحاً.

أثناء تلمسه الأشياء هناك، صادف علبة صغيرة من طلاء الزفت ملقاة عند الشباك. تحسسها بكلتا يديه، لكنه لم يستطع أن يخمن ما هي. فوضعها على خده، لكنه لم يزل غير متأكد؛ ثم فركها، وشمها. قال: «الزفت! الزفت! لقد عرفت! لطالما أشعلت هذه المادة حين تكون داكنة اللون، وقد كنت قادراً رؤيتها. الآن، ربما إن أشعلتها هذه المرة، فسأتمكن من الإبصار مرة أخرى. تحسس طريقه حول الحجرة حتى الموقد، وبعد أن حرق إصبعه مرتين أو ثلاث وهو يبحث عن الجمر، وجد خصلة قطن ووضعها بين الجمر والرماد حتى بدأت بالاحتراق. ثم أشعل الزفت بها. وعلى الرغم من أنه كان منزوع العينين، فإن الدخان المتصاعد من هذا الدواء قد أعاد إليه نوعاً من القدرة على الإبصار. فصاح: «جيد! أنا أرى ثانية!»، لكنه عندما نظر حوله، لم يتراء أي شيءٌ مألوف كما عهده في السابق؛ وعادت به الذكريات إلى مدينة الآلهة العظيمة؛ ثم استطاع أن يرى الطريق كما كان يراه. فالتفت نحو الباب، وغادر

مسكنه القديم، متخلياً عن كل تفكيره بممتلكاته، وعن كل ميوله السيئة السابقة، وتوجه إلى الجنوب نحو مدينة الآلهة والأرواح.

وحين خرج يحمل شعلته بيده أمامه ويتبعها، غنى أغنية حزينة. فتجمعت الطيور حوله عند سماعها لأغنيته، وبينما استمر في الغناء، هتفت الطيور لبعضها بعض: «ها! ها! الشيخ البائس؛ لقد فقد عينيه! إنه يستحق ذلك! دعنا نطفئ هذه النار من أجله».

منذ زمن بعيد، كانت النسور والغربان بيضاء كبياض زبد المياه المنسكبة من شلال. كانت النسور قوية جداً فأبعدت الطيور الأخرى، وبدأت تنقض على شعلة ميتسينا، محاولة إطفاءها بأجنحتها. فرفرفت فوق الشعلة ولكنها لم تنطفئ؛ بل سفعت النار ريشها وجعلت أجنحتها وذيولها سوداء اللون بسبب الدخان. فنظرت بحزن إلى بعضها بعض وقالت: «لقد أحدثنا فوضى عارمة في ريشنا الأبيض!»، ثم استسلمت.

ثم اندفعت الغربان ورفرفت فوق الشعلة، لكنها لم تستطع أن تطفئها؛ وعلى الرغم من أنها ازدادت سواداً، فإنها لم تستسلم.

لذلك فقد أصبحت حالكة السواد كحالها هذه اليوم؛ ومنذ ذلك الحين اصطبغت النسور باللونين البني والأسود، والغربان بالسواد الحالك، حتى رؤوس مناقيرها.

وما زال ميتسينا العجوز يظهر خلال رقصات شعبنا المقدسة، حيث يغني الأغاني الحزينة ويحمل شعلة الصنوبر والزفت. ثم يسير عارياً إلا من قطعة قماش بالية تستر عورته؛ ومن قناع بثقبين عميقين للعينين، يتدفق الدم منهما.

وهكذا تنتهي حكايتي.

كيف تدبر توأما الحرب والحظ، آهايوتو وماتسيليما، أمرهما مع رجال العالم السفلي غير المكتملين

يبدو أن العالم السفلي قد ضم منذ زمن بعيد العديد من الأشياء والكائنات الغريبة وقرى الإنسان أيضاً–كما تقول كلمات أجدادنا.

بيد أن شعوب هذه القرى لم تكن قد ولدت بعد – بل كانت أقرب إلى أشباح الموتى قياساً بنا، وفي الوقت نفسه أقرب إلينا مقارنة بأشباح الموتى، لأن الموتى هم أكثر انتهاء من الوجود منا، أما هم فأقل انتهاء من الوجود، كحال الدخان، بصفته ضبابياً، يعد أقل صفاء من الغمام، الذي يبدو شفافاً؛ أو مثل الذرة الخضراء، على الرغم من أنها غير ناضجة، إلا أنها طرية كحال الذرة المطبوخة التي هي بالتالي منتهية (مثل الأموات)، ولذا فكلتاهما أطرى من الذرة الناضجة، التي على الرغم من كونها نيئة، إلا أنها تقسو بمرور الوقت (كما نفعل نحن).

وأيضاً، كان هؤلاء الناس، موتى بطريقة ما، لذلك فهم لم يبدأوا بالعيش بعد، كما نحيا نحن في ظاهر الرماد.

ولذلك، يقتربون جزئياً من ماهيتنا لجهة أن لهم أجساداً، ومن الأموات لأنهم يفتقدون إلى هذه الأجسام، مما يطبعهم بعدم الثبات بسبب كونهم غير منتهين. وفي حين يشبه الأموات الرياح لأنهم قادرون على اتخاذ شكلهم من نواياهم الداخلية، يتماثل هؤلاء الناس مع الدخان حقاً، فيتخذون شكلهم من الخارج، من التلامس الخارجي بالأشياء، كما تفعل الفواكه والحبوب الفجة الآخذة في النمو.

وبالنتيجة، فقد وقعوا في حالة ملتبسة في منتهى الغرابة! فأولئك الأشخاص كانوا عكس ما نحن عليه تماماً، فمتى كنا صلبين، كانوا لينين مرنين، ومتى ملنا إلى الاكتمال، مالوا نحو النقصان؛ مجردين حتى من أعضاء الهضم، وفي حين نأكل نحن بشهوانية، يعد الطعام الصلب مدمراً بالنسبة لهم، مع أنه يمدنا بأسباب الحياة. ولذلك اختلفت طبيعة الأكل وغايته، إذ كانوا يرهبون الطعام نفسه، فلا يلمسونه، ويكتفون بامتصاص الغمام. وفي حين تأكل الأسماك بشكل رئيس من المياه، وتأكل الطيور من الهواء، كان هؤلاء الناس يأكلون من تجرع البخار وشم رائحة

ما يطهونه وهو لا يزال يغلي أو وهو لا يزال حاراً، ثم يرمون الطعام نفسه بعيداً!

كان التوأمان الصغيران آهايوتو وماتسيليما يبحثان دوماً عن فرص التنافس؛ فكل ما يحمل في طياته الموت والرعب للآخرين، بدا مفعماً بالحياة والبهجة بالنسبة إليهما؛ وهكذا فقد كانت صرخات الألم بمثابة دعوة لهما، على نحو ما يدعونا كاهن إلى مأدبة أو رقصة.

وفي يوم من الأيام حين استغرق الكون في الهدوء، جلسا على حافة بحيرة عميقة. وسمعا صوتاً غريباً يتصاعد من قلب المياه، كأن الفقاعات كانت تنبعث من أنين المياه المروع.

صاح الأكبر: «آه! ما هذا؟».

وجه الأخ الأصغر أذنه نحو الأرض وأصغى.

قال الأكبر: «هناك خطب ما هناك في الأسفل، مأزق أليم، فشعوب العالم السفلي تطلق صرخات الحرب كمحاربين حمقى وتنتحب كأنما تفجعاً على جريمة ما. ماذا عساه أن يكون؟ فلننزل ونتبين جلية الأمر».

قال آهايوتو: «هيا بنا!».

ثم غطيا رأسيهما بترسيهما المصنوعين من الحبال—المقلوبين رأساً على عقب—وأغمضا عينيهما وغطسا في أعماق البحيرة.

ثم قالا: «نحن الآن في الظلام، مثل الظلام الذي في الأسفل. حسناً إذن، بقوة الظلام فلننزل إلى أسفل». فقد كانا يملكان قوى عجيبة؛ مثل قوة الفكر النير.

مثلما يشق الضوء الأماكن المظلمة؛ نزلا مباشرة باتجاه تلك القرية في العالم السفلي، من دون أن تبللهما المياه.

صرخا: «بئساً! إن المساكين البائسين في عداد الموتى، وها هم آخذون في التفسخ: اعتاد أنفاهما على الظلام قبل عيونهما، التي فتحاها الآن».

قال آهايوتو: «ربما توجب علينا تجنب ما يمكن أن يحدث والبقاء في الأعلى».

أجاب ماتسيليما: «لا، لم يكن علينا فعل ذلك، فلنتابع طريقنا لنرى كيف كانوا يعيشون، حتى ولو غدوا الآن أمواتاً».

فقال الأكبر: «حسناً»، وأكملا سفرهما باتجاه القرية التي

أصبحت الآن مرئية بوضوح لهما، فقد كان الظلام محيطاً بهما لأنهما كانا يغمضان عينيهما في ضوء النهار فوق، لذلك فقد سمحا للضوء بالسطوع عبر بفتح أعينهما في الظلام هنا والنظر، ببساطة كانت هذه طريقتهما.

قال ماتسيليما: «جيد، جيد! انظر إلى القرية؛ إنها مليئة بالناس الذين كلما اشتدت رائحتهم التي تشبه رائحة الجيف، قاربوا الأحياء أكثر!». واشتدت الرائحة النتنة أكثر فأكثر كلما اقتربا.

هتف آهايوتو: «نعم، لقد أصبحت في مرمى سهم! لكن انظر هناك! نحن نتنشق رائحة الطعام - الطعام المطهو، كله مرمي بعيداً، كما نرمي نحن أيضاً العظام وأعقاب الذرة لأنها قاسية وعديمة الفائدة. ماذا يعقل أن يكون معنى ذلك؟».

أجاب الأخ الأصغر: «ماذا يعقل أن يكون حقاً؟ من يستطيع أن يدرك المعرفة، فإنها تنقذه، تعال، فلنربض في مكان ما ونراقب».

وهكذا ذهبا إلى مكان قريب تماماً من القرية وربضا أرضاً

وحدقا جيداً. كان بعض سكان القرية على وشك البدء في تناول طعامهم. فأخذوا طعاماً ساخناً مطهواً جيداً من أوعية الطهي ووضعوه في الأسفل داخل طبق خشبي؛ ثم اجتمعوا وبدأوا يرتشفون البخار ويتذوقون وكان ذلك يبعث الرضا في نفوسهم؛ إلا أنهم كانوا شديدي الحذر من لمس الطعام أو من تركه يلمسهم كأنه أشد قذارة من الفضلات.

تساءل الأخ الأصغر: «هل رأيت ذلك؟ إنها بهجة الموت، لكن...».

صاح الأكبر: «صه! إذا كان هؤلاء الناس من تلك النوعية، التي تتغذى على رائحة الطعام، فهم قادرون بالأحرى على سماع صدى الأصوات بشكل أفضل من سماع الأصوات بحد ذاتها، ولن تكون آلهة الشياطين قادرة على التغلب على هؤلاء الناس أو حتى محاربتهم!».

لكن الناس كانوا قد سمعوا! فأطلقوا صيحات الحرب، مندفعين خارجاً لملاقاة العدو، فقد ظنوا أن العدو في الخارج، فمن عساه أن يفكر في غريب متسلل مختبئ في ظل جدار يراقب طعام شخص آخر؟ فالكلاب تنبح حتى على أحد جرائها إن اندس خلسة في مكان ما!

صرخ الناس مندفعين هنا وهناك كالنمل تحت وابل من الأمطار: «أين؟ من هناك؟ ما كان هذا؟». ثم صرخوا مشيرين إلى التوأمين: «ها! إنهما هناك! هناك! بسرعة!». فهرب التوأمان واتجها إلى التلة القريبة. وعلى الفور عمدا إلى إطلاق صرخة الحرب الخاصة بهما.

غنى الناس وهم يهرعون بلا تردد وراء التوأمين:

«ها! ساس-كي!

أو-ما-تا

ها-وي-موو!

او-ما-تا

او-ما-تاها-وي-مو!».

ثم بدأوا بالصراخ: «دوسوهما وادفنوهما في الأرض! اقتلوهما! اذروهما مثل حبات القمح!».

لكن التوأمين ضحكا واستلا سهامهما وأطلقاها باتجاه الحشود. أطلقت السهام نغماتها مخترقة أجساد الناس، ولم يخطئ أي واحد منها.

صاح الأكبر: «ما الذي سنفعله الآن؟».

قال ماتسيليما: «الآن، سوف نضربهم!»، ثم أخرج هراوته الحربية وانطلق لملاقاة الذين في المقدمة فأخذ يضربهم ضربات محكمة مؤلمة على رؤوسهم وأكتافهم. على الرغم من ذلك، كان آهايوتو مرتبكاً فقط (لأنه كان أضعف من أن يتلقى الضربات)؛ أما ماتسيليما، فقد اندفع وحده من جهة واحدة، حين ضربه أحد ذوي التروس المكسوة بالريش فسقط على الأرض كما يتطاير الدخان تحت جناح صقر.

فصرخ آهايوتو: «اصمد، يا أخي! سأنجدك! اصمد!». ثم انتزع أحد الأغصان الجافة ووثب إلى الأمام. واكتسح وجوه وصدور المحتشدين على الجانبين.

يا للأسف! فقد تساقطوا يمنة ويسرة كالنحل في قلب عاصفة مطرية، وحالاً أخذوا يستجدون الرحمة، ويصرخون راكضين من مجرد رؤية سيقان العشب.

صاح الأخوان: «أيها الحمقى! لماذا إذن بادرتم إلى مهاجمتنا؟ لقد قدمنا لمساعدتكم ولم نفعل شيئاً سوى النظر أمامنا كوننا غرباء في أماكن غريبة، فإذا بكم تأتون راكضين كسرب من الذباب! تنعتوننا بالذئاب المتسللة، ألم تفعلوا؟

اجلسوا هناك باطمئنان! لا تخافوا! نحن نتضور جوعاً؛ أعطونا شيئاً لنأكل».

ثم قاد الناس التوأمين إلى ساحة البلدة وقدموا لهم الطعام البخاري بسرعة.

جلسا وبدأا ينفخان على الطعام ليبرداه، بينما صاح الناس بفزع: «انتظرا! انتظرا، أيها الغريبان الطائشان؛ لا تهدرا الطعام الثمين هكذا! يا للعار!».

أجابا: «نهدر الطعام؟ ها! نحن نتناول طعامنا بهذه الطريقة». وأمسك كل منهما بلقمة ضخمة وحشرها في فمه بكاملها والتهمها دفعة واحدة.

شعر الناس بالرعب الشديد والغثيان لرؤية هذا، وتعرق معظمهم بغيظ -وكانت هذه طريقتهم في التقيؤ- في حين صرخ آخرون أشد شجاعة منهم: «انتظرا! انتظرا! سوف تموتان؛ سوف تمرضان وتموتان بالتأكيد إذا لامستما هذه المواد!».

صاح التوأمان وهما يأكلان المزيد: «ها! ها! كلوا من هذا الطعام لتصبحوا أقوياء، أيها المساكين، إنكم مخلوقات ضعيفة!».

في تلك اللحظة تماماً قامت فوضى عارمة. فقد اندفع الجميع للاحتماء بالجدران والمنازل، طالبين منهما أن يتركا كل شيء ويحذوا حذوهم بسرعة.

تساءل الاثنان وهما ينظران فوقهما وحولهما: «ماذا هنالك؟».

فقالوا: «آه، آه! إن الآلهة غاضبة منا اليوم، وهي توجّه سهامها نحونا. ستقتلكما أيضاً! أسرعا!» كانت ريح قوية تعصف في الأعلى، مبعثرة القطن والقش في طريقها!».

قال الأخ الأكبر: «يا أخي، هذا لا ينفع. يتوجب على هؤلاء الناس أن يتعلموا عادة تناول الطعام.لكن فلننل أولاً قسطاً من الراحة، وبعدها ننظر في هذا الأمر».

فاستندا إلى جدار، ووضعا ترسيهما أمامهما، وغطا في نوم عميق. ولم يمر وقت طويل حتى استيقظا فجأة. فقد كان هؤلاء الناس غريبي الأطوار يحاولان جرهما خارجاً حتى يدفنوهما، لكنهم باتوا خائفين من لمسهما لأنهم ظنوا أنهما أقرب إلى الموت منهما إلى الحياة.

وخز الأخ الأصغر الأكبر بكوعه، ولهث الاثنان، ثم بقيا هادئين تماماً. فنجح الناس أخيراً في دحرجتهما إلى خارج الساحة كما الأجساد الفاسدة، ثم أوشكوا على خلطهما بالفضلات عندما تراجعوا فجأة وتركوهما وانتظروا الفترة ليست بالقصيرة، صارخين: «حرب! خطر!».

وثب التوأمان صارخين: «ما الخطب؟». بينما حملق الناس فيهم ودمدموا بخوف عظيم، فلم يسبق لهم رؤية الأموات يعودون ظاهرياً إلى الحياة.

سأل التوأمان: «ما الأمر أيها الحمقى؟».

صاح سرب من الغربان: «آكا كاا».

قال القرويون: «أصغيا إلى هذا! أصغيا ثم اسألا ما الأمر! الغربان قادمة؛ وسيموت كل من يسقط وميضها عليه – اهربا! خطر!». وفقد الجميع صوابهم كأن الشياطين تطاردهم. ألقى بعض الغربان الوميض على واحد أو اثنين منهم. فسقطا أمواتاً!

صاح الأكبر: «انظر إلى هذا! يموت هؤلاء الناس إذا ألقت الطيور الوميض عليهم!».

قال الأصغر: «مهلاً، هناك! انظر، يا للأشياء المخيفة!» لذا سحبا بعض الخيوط الليفية التي كانت معهما، وصنعا منها شراكاً، وحين انقضت الطيور عليهما أخذت الشراك تلتقطها بعقدها، حتى انتهت من التقاطها جميعاً. ثم قتلاها وأحضراها إلى داخل البلدة وقاما بشيها. وقالا وهما يلتهمان الطيور بلقمات صغيرة: «هذه هي الطريقة».

فاحتشد الناس حولهما صارخين: «انظروا! انظروا! لقد التهما الطيور بكاملها من دون التخلص من أي شيء!»، ومع أنهم كانوا خائفين منهما، إلا أنهم جهدوا لاسترضائهما ووفروا لهما مكاناً مناسباً ليرتاحا فيه.

في اليوم التالي حصل هجوم آخر. فجرى الأخوان خارجاً ليستطلعا الأمر. إلا أنهما لم يتمكنا من رؤية أي شيء لفترة طويلة، لكن في النهاية شاهدا بعض الناس يركضون إلى داخل القرية. فقد كانوا مطاردين من قبل إناء طهي له قرطان من البصل. كان يغلي بشدة قاذفاً البخار الحار وعصيدة الذرة في كل مكان. فإذا لمس مقدار ضئيل من العصيدة الناس يموتون على الفور. صاح التوأمان ساخرين: «ها! وكأن الطعام صنع ليخيف الناس!»، ثم انتزعا القرطين من الإناء وأكلاهما مع العصيدة التي فيه، ثم قذفا بقوة الإناء فحولاه إلى شظايا.

فتجمع الناس حولهما قائلين بدهشة لبعضهم بعضاً إن بإمكانهم أن يقهروا جميع أعدائهم بالتهامهم هكذا، ثم توسلوا إلى التوأمين لكي يعلمانهم كيف يفعلان ذلك. وعقدوا مجلساً هائلاً للقرويين، وحين علما أن هؤلاء كانوا نصف منتهين، أحدثوا فيهم شقوقاً... وجعلوهم قادرين على أكل الطعام الصلب، الذي جعلهم أكثر صلابة فأصبحوا لاحمين، وبدلاً من أن يُقتلوا على أيدي الكائنات المخيفة، و أبناء نوعهم الذين عاشوا قبلهم، أصبح بإمكانهم الارتقاء للتمتع بضوء النهار واستعادة مكانتهم بين البشر أبناء البشر.

ولهذا السبب، فإنه يمكن لطفل حديث الولادة أن يأكل من استنشاق الروائح التي تحملها الريح، إلى أن ينقطع الحبل غير المرئي الذي يمده بالغذاء، ثم سيكون عليه أن يمتص الحليب أو أن يتناول الطعام الطري الذي سيسبب له الكثير من الانزعاج.

لكن! أصبح في وسعنا الآن أن نعلم لماذا يصبح الطاعنون في السن أشبه بالأطفال حديثي الولادة؛ فالأطفال ليسوا فقط بلا أسنان؛ بل إنهم أيضاً ضعفاء؛ ومن المؤكد أن الإسهال مميت بالنسبة لهم، حتى في حال تناولوا كمية قليلة جداً من أطعمة

أكثر صلابة من المرق. فليس هناك من طعام صلب في العالم الذي أتى منه حديثو الولادة، كما ليس هناك من طعام صلب في العالم الذي سيرحل إليه المسنون بعد موتهم. فالأموات لا يعنيهم الطعام الصلب!

وهكذا تنتهي حكايتي.

الديك والفأر

بينما كانوا في حجيجهم إلى «محيط الغروب» في صيف 1886، كان ثلاثة من الزوني وهم بالويتا وواهوسيوا وهيلوتا، مع السيد كاشنغ، يسلون أصحابهم المجتمعين قرب البحر بسرد الحكايات الشعبية، وتلك القصص المتعلقة بالهنود الحمر كان يترجمها السيد كاشنغ مباشرة. وحين جاء دور السيد كاشنغ سرد حكاية إيطالية تدعى «الديك والفأر» ظهرت في كتاب توماس فردريك كراين «الحكايات الشعبية الإيطالية». بعد نحو عام في «زوني» فوجئ السيد كاشنغ بواهوسيوا وهو يسرد الحكاية نفسها، إنما بطريقة مختلفة، ويورد السيد كاشنغ هنا الحكايتين الإيطالية الأصلية، وتلك التي قام وهوسيوا بسردها محرفة، وذلك لإيضاح الفرق الذي تمّ خلال فترة تعدّ وجيزة جداً، ومنهج السرد لدى قوم زوني (محرر الكتاب بالإنجليزية).

الديك والفأر
(النسخة الإيطالية)

كان يا ما كان، كان هناك فأر وديك.

في أحد الأيام قال الفأر للديك: «ما رأيك يا صديقي أن نذهب لنأكل الجوز من تلك الشجرة؟».

فأجابه الديك: «كما تشاء».

ذهب الاثنان إلى الشجرة وحالما أصبحا تحتها تسلق الفأر الشجرة وبدأ بتناول طعامه.

أخذ الديك المسكين يطير ويطير، لكنه لم يستطع الوصول إلى مكان الفأر.

عندما اكتشف الديك أن لا أمل له في الوصول إلى مكان الفأر، قال له: «أتعلم ماذا أريد منك يا صديقي؟ أن ترمي لي جوزة».

فقام الفأر برمي جوزة للديك لكنها أصابته في رأسه.

ذهب الديك برأسه المصاب الملطخ بالدماء إلى امرأة مسنة وقال لها: «أيتها الخالة العجوز، هلا أعطيتني رقعة قماش أداوي به رأسي المصاب؟»، فأجابته العجوز: «إذا أعطيتني شعرتين أعطيك بعض القماش».

ذهب الديك إلى الكلب وقال له: «أيها الكلب، هلا أعطيتني شعرتين أعطيهما للمرأة العجوز فتعطيني بعض القماش لأداوي به رأسي المصاب؟».

فأجابه الكلب: «إذا أعطيتني خبزاً أعطك شعرتين».

ذهب الديك إلى الخباز وقال له: «هلا أعطيتني بعض الخبز لأعطيه للكلب فيعطيني بضع شعرات فأعطيها للمرأة العجوز فتعطيني بعض القماش لأداوي به رأسي؟».

فأجابه الخباز: «لن أعطيك الخبز ما لم تحضر لي بعض الحطب».

ذهب الديك إلى الغابة وقال لها: «أيتها الغابة، هلا أعطيتني بعض الحطب لآخذها إلى الخباز فيعطيني بعض الخبز فأعطيه للكلب فيعطيني بضع شعرات فأعطيها للمرأة العجوز فتعطيني بعض القماش لأداوي به رأسي المصاب». فأجابته الغابة: «إذا أحضرت لي ماءً، أعطيك الحطب». ذهب الديك إلى نافورة

الماء وقال لها: «أيتها النافورة، هلا أعطيتيني ماءً لأعطيه للغابة فتعطيني حطباً فآخذه إلى الخباز فيعطيني بعض الخبز فأعطيه للكلب فيعطيني بضع شعرات فأعطيها للمرأة العجوز فتعطيني بعض القماش لأداوي به رأسي المصاب؟».

فأعطته النافورة ماءً، فأخذه إلى الغابة التي أعطته الحطب فأخذها إلى الخباز الذي أعطاه الخبز فأخذه إلى الكلب الذي أعطاه الشعر فأخذه إلى المرأة المسنة التي أعطته القماش. وهكذا داوى الديك رأسه.

الديك والفأر
(نسخة زوني)

حدث هذا منذ زمن بعيد، في بلدة تسود فيها الفيضانات. عاشت هناك امرأة عجوز، كما يقولون في إيطاليا، موطن آباء المكسيكيين. كانت هذه المرأة تملك ديكاً، كالمعهود في نمط الحياة السائد هناك، لكنها تركته وحيداً فلم يعتد على الدخول في شجارات مع بقية الديوك. كان ضخماً جداً، كأنه ديك رومي، وله رأس أملس جميل وذيل منتصب على صدره كديك رومي أيضاً، فأفراد فصيلة هذا الديك كانوا منذ البداية إخوة صغاراً للديوك الرومية. فلابد من أن تبدو كذلك.

لقد احتفظت العجوز بديكها في زريبة صغيرة من العيدان الطويلة الحادة الرؤوس المنسوجة بهيئة متراصة والمضفورة معاً بأحزمة جلدية، مثل قفص نسر على حائط، ليس له سوى باب صغير جداً محكم الإغلاق بالأحزمة الجلدية أيضاً. ومع كل محاولاته، لم يستطع هذا الديك المسن أن يطير، فلم

تواته الفرصة ليركض وينطلق كما تفعل الديوك الرومية في البراري، وعلى الرغم من ذلك ظل يحاول ويحاول، لأنه كان متعطشاً للحم- متشوقاً للديدان دوماً - فعلى الرغم من امتلاك سكان القرية وفرة من الطعام، إلا أن هذه المرأة كانت فقيرة وعاشت بشكل أساسي على الطعام المصنوع من الذرة، ولذا ومن دواعي الحاجة، كانت تطعم ديكها من بقايا ما تأكله. فكانت تأتي في كل صباح وترمي بقايا الطعام داخل الزريبة.

تحت الجدار القريب، عاش فأر. لم تكن له جدة عجوز لتطعمه، وكان مولعاً بالطعام المصنوع من الذرة بشكل خاص. لذلك واظب على الجلوس في هدوء، بعنق ثابت دون أن ينظر إلى أي مكان، فقط يجلس في الشمس ويصيح من أجل تسلية نفسه، إلى أن يفرغ الديك المسن من الأكل ويشبع، فيبدأ الفأر الصغير بالمراوغة، فيسرق قضمة من التورتيلا (خبز الذرة) أو لب الخبز، ثم يهرب إلى جحره ثانية. لكن الديك لم يتمكن من رؤيته قط- لتغلب النعاس عليه بعد تناول الطعام- وهكذا، يوماً بعد يوم، كان الفأر يتناول الأطعمة الفخمة ويزداد جسارة ووقاحة. وفي يوم من الأيام، عندما نضجت الذرة، وتناول الديك طعامه

حتى الشبع وبدأ يتهيأ للاسترخاء، خرج الفأر وسرق قطعة خبز كبيرة، وبينما يحاول دفعها إلى داخل جحره، أحدث جلبة، بل وعلاوة على ذلك، توقف ليحدث شقاً في مدخله كي يجعله أوسع.

التفت الديك ونظر في اللحظة التي كان الفأر يشق فيها طريقه ببطء إلى الداخل، فلمح ذيل الفأر طويلاً عارياً مستلقياً على الأرض يتلوى، بينما تابع الفأر التحرك جيئة وذهاباً خلال حفره.

دمدم الديك: «ها! يا للآلهة! إنها دودة!»، ثم نقر ذيل الفأر مرة واحدة وعضه بقوة حتى قطعة بكامله وابتلعه قضمة واحدة.

صرخ الفأر، بألم: «إنها جريمة!»، وانطلق مسرعاً إلى جحره، وانهمك في لعق ذيله حتى غدت جروحه زهرية اللون وأصبحت زوايا فمه متجهة نحو الأسفل مثل فم امرأة باكية؛ لأنه عشق ذيله الطويل كما تعشق راقصة سحر شعرها الطويل، و ظل يبكي: «آه يا ذيلي! آه يا ذيلي!» وفكر: «يا لهذا الوحش الهائل الوقح! أقسم بأني سأثأر منه! فهو أسوأ من بوم أو من صقر ليليّ. لأن تلك الطيور تأكلنا بأكملنا، أما هو فقد انتزع مني العلامة التي تدل على كوني فأراً، وتركني لأتفجع على ما حل بي. سأنتقم منه، سوف أفعل!».

وهكذا، ومنذ ذلك الوقت ظل الفأر يفكر كيف سينفذ خطته، وبدت الخطة الأمثل في نظره أن ينسل إلى الخارج في أحد الأيام، بعد أن أصبح فأراً مبتور الذيل يستحق الشفقة، فالمصادفة ستهيئ الفرصة لنشوء صداقة بينه وبين الديك. لذلك أخذ بعض البذور وصنع منها لصاقة أضاف إليها مادة صمغية استخرجها من ثمرة الجوز، ووضعها على ما تبقى من ذيله المقطوع. وبعدها، وفي أحد الصباحات، رفع ذيله إلى الأعلى كما يرفع كلب قائمته عندما يطأ نبتة صبار، وزحف إلى حافة جحره وتباكى أمام الديك بصوت خافت ضعيف:

«أنت، انظر، يا للشفقة، يا للشفقة! يا سيد الوفرة،

خلصني من جوعي،

خلصني من ألمي،

يا لي من مسكين، يا للشفقة، يا لي من مسكين!».

وبعد ذلك رفع الفأر ذيله إلى الأعلى، إذ كان عمله هذا آمناً، فلم يعد الذيل يبدو كدودة أو أي شيء صالح للأكل.

شعر الديك بالإطراء لدعوة الفأر له بسيد الوفرة، لذلك قال،

بعجرفة تامة (فقد تناول طعامه حتى لم يعد بإمكانه أن يحني عنقه، كما أنه شعر بالفخر أيضاً): «ادخل، أيها المخلوق الصغير المسكين، وكل كل ما تريد. وكأني قد أهتم بما يمكن لمثلك أن يأكله!»، فدخل الفأر وأكل القليل فقط كغريب مهذّب، ثم شكر الديك وتمنى له يوماً جميلاً ومضى عائداً إلى جحره.

ورويداً رويداً، عاد مرة أخرى، وأحضر معه هذه المرة نصف جوزة مملوءة باللب الأبيض اللذيذ. وصرخ لافتاً النظر إلى مجيئه قبل أن يدخل الزريبة، وقال: «يا أبي ورفيقي، دعنا نأكل معاً. لدي الكثير من هذا الطعام، الذي جمعته من شجرة الجوز العالية هناك، ذلك أنني أتسلقها كل خريف عندما تنضج الذرة وأقطف الجوز من هناك. إلا أنني أفضل طعامك أكثر من كل الأطعمة الأخرى، بما أني لا أستطيع تخزينه في جحري. وربما تفضل طعامي بالمقابل؛ لذلك دعنا إذن، نأكل سوية».

أجاب الديك: «حسناً، يا ولدي ورفيقي»؛ وهكذا بدأا بتناول الطعام.

لم يسبق للديك أن تذوق طعم الجوز لذلك كان في منتهى السرور، فأنهى حبته بسرعة، ثم أسف على نفاد حصته. وقال لنفسه: «يا للخسارة، يا لي من مسكين! لا تحضر لي الجدة شيئاً

كهذا إلا نادراً، لأنها تستولي على جميع الحبات. فلا يتبق لي أي طعام لذيذ لآكله. أيها الرفيق الصغير، هل لديك الكثير من هذا الطعام، هل قلت ذلك؟».

رد الفأر: «آه، نعم، لكن كما ترى فإن هذا الفصل قد شارف على نهايته الآن، وعندما أحتاج إلى المزيد من حبات الجوز، فإنني اضطر إلى أن أذهب لأجمعها من الشجرة. اسمع! لماذا لا تذهب أنت أيضاً إلى هناك؟ تلك هي الشجرة، إنها قريبة».

قال الديك: «يا لي من مسكين، لا يمكنني الهرب، يا لكآبتي! انظر إلى جناحي، إنهما أشبه بالأشواك الخشنة – وانظر إلى اللحية التي تتدلى على صدري، فهي تدل على كبر سني، واحسرتاه! إنني متغضن ومترنح، لطالما حاولت الطيران خارج هذا المكان، لكنني ارتطمت بالقضبان بقوة. أما الباب، فإن جدتي العجوز تحكم إغلاقه ثم تثبته بأحزمة جلدية متينة، وتنتهي من إطعامي بأسرع ما يتأتى لها!».

هتف الفأر: «ها! ها! إذا كان هذا كل شيء، فليس من أمر أيسر منالاً من فتح ذلك الباب. انظر إلى أسناني؛ أستطيع حتى أن «أشطر الجوز القاسي بها! انتظر!»، وجرى برشاقة متسلقاً

الباب الصغير وبدأ بقضم الرباط. «اسمع! أبي ورفيقي؛ ادفع الباب، فأنت أكبر حجماً مني، وسنذهب لجمع الجوز».

صاح الديك: «يا له من يوم رائع»، ثم دفع الباب ففتحه، وانطلق يركض وهو يصيح صيحات الابتهاج.

ثم شق الفأر الطريق باتجاه الشجرة. وبدأ يتسلق جذعها، واستمر في التسلق حتى وصل إلى الأغصان الأكثر ارتفاعاً. وصاح: «ها! الجوز جيد وناضج هنا».

رفرف الديك وحاول الطيران لكن دون جدوى؛ كان جناحاه ضعيفين جداً فلم يستطع حتى أن يبلغ الأغصان المنخفضة. «آه! ترفق بي يا ولدي ورفيقي! اقطف بعض الجوز وارمها إلي، أرجوك! إن جناحيّ منهكان ولا يمكنني أن أطير أفضل مما يفعل كلب جدتي المسن، إنه جاري هناك».

هتف الفأر: «كن صبوراً، كن صبوراً يا أبي! فأنا أحاول شطر واحدة كبيرة من أجلك بكل سرعتي. خذ، التقطها!»»، ورمى جوزة بالقرب من الديك، الذي التهمها بفرح وطلب المزيد.

قال الفأر: «انتظر، يا أبي. قف هناك! إلى الأسفل مني تماماً،

الآن التقطها؛ إنها حبة كبيرة!»، تقدم الفأر ببطء حتى أصبح فوق الديك تماماً، وقال: «الآن، إذن. انتبه!» وأسقط حبة الجوز. أصابت الجوزة رأس الديك فخدشت جلده ودوخته حتى سقط فاقداً وعيه تماماً.

صاح الفأر وهو يسرع إلى الأسفل: «ماذا حدث! لننظر قليلاً، ثم يا للخسارة! سيلقى عدوي المصير نفسه الذي لقيته على يده، حقاً!» بينما عبر مسرعاً، حتى قبل أن يفتح الديك إحدى عينيه، وقضم ريشاته الخشنة فجعلها قصيرة جداً حتى لا تنمو ثانية. قال الفأر: «هذا أفضل! هذا يشفي غليلي، فعدوي قد خسر الآن ما جعلني أخسره، وأصبح مجرداً مما يميزه عن أبناء جنسه». ثم جرى عائداً إلى جحره، راضياً.

أخيراً، فتح الديك عينيه وهتف: «آه، يا رأسي!». ثم بدأ يندب ويترنح، فلمح حبة الجوز. كانت ملساء ومدورة، مثل بيضة بنية. وعندما رآها الديك أخذ يندب و يعول بصوت أعلى من ذي قبل: «آه، يا رأسي! آه!» لكن ظل أعلى رأسه ينزف ويتورم حتى أصبح كله مغطى بآثار الدم المتخثر، كما أصبح ثقيلاً جداً، فظن الديك أنه سيموت لا محالة. لذلك عاد إلى جدته العجوز، وهو يترنح طوال الطريق. وحين سمعت الجدة صوته فتحت الباب، وصرخت: «ما الذي حدث؟».

أجـاب: «آه يا جدتي، يا لي من مسكين! أنا مذبوح! إن مخلوقاً صغيراً ذا ذيل قصير له ريشة واحدة، قد ألقى بحبة جوز كبيرة مدورة وصلبة على رأسي، بعد أن جاء وأخبرني أنها طعام لذيذ—آه! إن رأسي ينزف وينتفخ بكامله! اصنعي من أجلي معروفاً، وضمدي جرحي كيلا أموت».

صاحت المرأة العجوز: «لقد قمت بخدمتك بشكل جيد! فلماذا غادرت مسكنك، هل شعرت بالفضول؟ لن أضمد جرحك إلا إذا أعطيتني ريشاتك التي تميزك كديك عريق، وعسى أن يلقنك هذا درساً لن تنساه!».

صاح الديك: «آه! خذيها، يا جدتي!». ولكن عندما نظرْ إلى الأسفل، يا للحسرة! فإن اللحية التي على صدره قد أزيلت تماماً، مجد الفصيلة التي ينتمي إليها، كان قد ضاع بكامله. صاح مرة ثانية: «يا لي من مسكين! يا لي من مسكين! ماذا علي أن أفعل؟». لكن العجوز أخبرته أنه ما لم يحضر إليها أربع ريشات على الأقل، فلن تداوي جرحه، ثم أغلقت الباب على الفور.

وهكذا، فإن الديك المسكين ترنح إلى الخلف ببطء متجهاً نحو الزريبة، آملاً بإيجاد بعض الشعر الذي قضم. وبينما يجتاز بيت جاره الصغير، لمح متجراً يبيع خبز الـذرة اللذيذ. فكر

الديك: «ها!». ثم أخبر الكلب قصته، وتوسل إليه كي يعطيه أربع شعيرات – «أربعة فحسب!».

«أيها العظيم صانع الصخب، أعطني بعض الخبز، فأعطيك الشعيرات».

ففكر الديك، ثم ذهب إلى منزل تاجر المواد الغذائية؛ وأخبره بالقصة أيضاً.

قال تاجر المواد الغذائية: «حسناً، لكن أحضر لي بعض الخشب لكي أشعل به ناراً لخبز الخبز».

قصد الديك غابة قريبة. «آه، أيتها الشجيرات، أعطيني بعضاً من أغصانك الجافة!»، ثم روى قصته للأشجار؛ لكنها هزت أوراقها قائلة: «لم يهطل أي مطر، وستجف أغصاننا قريباً. فتضرع إلى المياه لعلها ترويننا، ثم سنعطيك الخشب بكل سرور».

فذهب الديك إلى ينبوع قريب، وحين رأى رأسه يزداد تورماً وألماً، عاد إلى البكاء ثانية.

ثم أخبر المياه بقصته.

قالت المياه: «اسمع! لقد أهمل الناس واجباتهم منذ زمن طويل، وتريد الغيوم العزيزة منا تسديد حقوقها، أسوة بالأشجار

وصانع الطعام والكلب والمرأة العجوز. انظر! ليس هناك أي ريش مثبت حول حدودنا! ولذلك، عليك أن تدفع لها من ريشك—أربع ريشات من أسفل جناحيك—ثم تنصبها فوقنا تماماً، لكي تتمكن السماء من رؤية هذه الريشات في أعماقنا، وستغري بها الغيوم ذات النسمات المحملة بالأمطار. وهكذا فإن بحيرتنا ستمتلئ بالمياه، وستروي الأشجار، ثم ستسقط الرياح بعض أغصان الأشجار الجافة التي ستحملها معك وعندها سيجري كل شيء على ما يرام».

ولذلك، فقد نتف الديك أربعاً من أفضل ريشاته وثبتها على جوانب البحيرة، واحدة على الحافة الشمالية، وواحدة على الحافة الغربية، وأخرى على الشرقية، والأخيرة على الجنوبية. ثم بدأت رياح الجهات الأربع تعصف بالريشات الأربع، فظهرت الغيوم وبدأت تمطر، فرمت الأشجار الأغصان الجافة، فوضعت الرياح فوقها نوعاً من الأعشاب البيضاء الخفيفة الوزن وبالتالي فقد جعلت الحمل الذي تحتها خفيفاً. وحين عاد الديك ليجمع رزمة صغيرة من الأعواد، يا للعجب! لقد جعلتها الأعشاب بغاية الخفة فحملها بسهولة إلى الخبّاز، فأعطاه الخبز، الذي أعطاه الكلب فأعطاه أربع شعيرات أخذها إلى الجدة.

هتفت الجدة: «ها! الآن، يا ولدي سوف أعالجك، لكنك

غبت طويلاً لذا فإن الكدمات وقطع اللحم ستبقى ظاهرة على رأسك، حتى بعد أن يشفى. إن الصواب يؤدي إلى الصواب، والخطأ يؤدي إلى الخطأ، ولتفعل الصواب عليك أن تدفع ثمن العلاج لمن يعالجك. اذهب الآن وانتظر كما أمرتك».

عندما تعافى الديك، بعد مدة، يا للعجب! باتت هناك كدمات كبيرة حمراء اللون كالدم على رأسه، وعلامات زرقاء مؤلمة جداً على صدغيه. اسمع الآن:

لأجل هذا السبب لم يعد الأطباء منذ ذلك الحين، يقدمون العلاج للناس من دون تلقي الثمن؛ فلا تأثير لدواء مجاني عديم القيمة. ومنذ ذلك الحين أيضاً لم يعد لدى الديوك شعر على صدورهم - بل حدبات صغيرة في مكان محدد وحسب - كما نبتت لهم أعرافٌ لحمية حمراء بلون الدم على رؤوسهم. وحتى عندما يرى ديك بيضة وضعتها دجاجة، فإنه يبدأ بالصياح كما فعل ذلك الديك عندما رأى حبة الجوز البنية. بل إنه ينقر أحياناً على هذه البذور ويأكلها، خاصة حين تكون مشطورة إلى نصفين.

أما بالنسبة إلى الفئران، فنحن نعلم كيف دخلت إلى أكياس الذرة وخرجت منها بهيئة مختلفة، وأنها بسبب تعرضها للدخان،

أصبحت تملك ذيولاً طويلة عارية. لكن هذا حدث قبل أن يقطع الديك ذيلها. ولأن الفأر بكى بألم كما يبكي طفل من ألم إصبعه المحروق، لذا جال أبناؤه البراري بوحشية؛ وهكذا فإن لدى فئران الحقول حتى يومنا هذا ذيول قصيرة، تحمل لطخات بنية اللون وبعض الشعر؛ وجلد زهري اللون، وعندما تنظر في وجوهها فسيبدو لك دوماً أنها تبكي.

وهكذا تنتهي حكايتي.

مبتلع السحاب العملاق
قصة وادي تشيلي

مقدمة جامع الحكايات

في أعماق أودية الغرب الجنوبي، وخاصة عندما تترافق مع أودية أخرى، يمكن للمسافر- وهو يقف أمام الوديان معانقاً زوايا المنحدرات الشاهقة- أن يرى نُصباً عظيمة شاهقة من الصخور -عجيبة، وعرة، رائعة، وحيدة في أغلب الأوقات- كأنها أشجار عرّتها الرياح العاتية، وأخرى أصغر حجماً تنتصب بجانبها وفق مجموعات من اثنتين أو ثلاث. تجفل هذه الصخور العملاقة منذ الوهلة الأولى كل من ينظر إليها من الوادي، فيفاجأ حين يحدق بأبعادها التي تجمع بين الوحشية والإنسانية، فكأن العمالقة تحفظ صغارها في فسحة ما بين عمودين من الأعمدة المقابلة للجدران الصخرية المطبقة، فيبدو أن أولئك الصغار ركنوا إلى أحضان آبائهم أو تعلقوا بأهدابهم.

لم يرَ سوى قلة من الرجال البيض هذه الصخور التي تشبه التماثيل تحت ضوء القمر، أو في الضوء الرمادي وضباب الفجر الخفيف. بينما تبدو هذه الصخور في منتصف النهار، وكأنها تقف ميتة أو نائمة؛ أما حين يسطع ضوء القمر فوقها وينظر المسافر إلى الأعلى، فيا للعجب! إذ يبدو القمر ثابتاً في حين تتراءى تلك الصخور الشامخة وكأنها تندفع قدماً بصخب مكتوم. فيشعر المسافر بظهره يتجمد رعباً، وتغوص قدماه في الرمال الناعمة من شدة الرعب - رعب شبحي لذيذ! فيواصل التحديق مفتوناً، وبينما يسقط ظل ضوء القمر أمامه من القمة الأعلى، فيا للهول! فللمرة الثانية تتوج قمتها بضياء كأن لها هالة ثلجية اللون، وتحت هذه العصابة المنيرة التي تحيط بذلك الجبين الصخري، يتناثر ما يتراءى وكأنه شعر أسود يسقط على الأرض ليتجمع.

مرة أخرى، يتراءى هذا المنظر الخلاب في وقت الفجر، حين ينهض غبش الضباب ببطء وهو يتماوج جيئة وذهاباً حول تلك الأعمدة الهائلة، فيخفي المنحدرات الشاهقة خلفه، وتبدو هذه الأبراج الضخمة عندئذ وكأنها تومئ أو تتمايل أو تتأرجح للأمام وللخلف، بصمتها المعتاد. فور شروق الشمس وانقشاع

الضباب، تنفث الرياح المزيد من الغيوم من الهضبة المجاورة؛ فتشاهد سحب الضباب وهي تنسكب من قمم المنحدرات من خلف هذه الأبراج العظيمة تماماً ومن فوقها، فتومض على صفحة السماء الصافية؛ لكن حالما تجتاز هذه السحب مجموعات الصخور، فإنها تتبدد في ضوء الشمس الذي يطوقها بسرعة كبيرة، بينما تتقدم أخرى غيرها، فيتراءى وكأن تلك العمالقة الحجرية تتجرعها.

حول هذا النوع من الصخور، ووفقاً لتنوعها وبيئتها المحلية، يروي شعب زوني الكثير من القصص المبدعة التي تناسب من يؤمنون بها، كالزوني، أن في زمن الخلق حين كانت كل الأشياء صغيرة وغضة، تتكيف بسهولة مع كل ما يؤثر بها – من الأشياء والنباتات والحيوانات، وهكذا، إلى الأبد من خلال قصة دراماتيكية يفوق طولها مسرحية لشكسبير أو الكتاب المقدس– وربما نؤمن بسرور أيضاً بما يؤمنون به من الحوادث الطريفة التي تجري في قصص ذلك الزمان عندما كانت كل الأشياء صغيرة وكان الكون في طريقه ليأخذ ماهيته الحالية.

إحدى هذه القصص– التي تختلف عن غيرها المتعلقة بصخور معينة تنتصب في الغرب أو الجنوب أو الشرق – تروى

لجميع المشاهدين فتحصد الكثير من التعجب - قصة صخرة «الكابيتان» في وادي تشيلي في الشمال. لم يسبق لأحد أن رأى تلك الصخرة الهائلة مرة، وفارقه الاهتمام بهذه الأسطورة، أو لم يدرك كحال هذا المدخل الذي بين كيف ألف شعراء وفلاسفة زوني في غابر الزمان قصصاً حملت يقيناً كافياً تماماً لتقديم وصف لتلك السارية العظيمة المكونة من الحجر الرملي وكل تفاصيلها ومحيطها.

الحكاية

كان «هاكي سوتو» أي (عقدة المنصة)، ذو الشعر المرفوع إلى الأعلى فوق جبهته كعرف طائر السمان، والـذي عاش بين منحدرات الشمال الشاهقة العظيمة منذ زمن بعيد، حين كان العالم لا يزال حديث الـولادة، عملاقاً وطويلاً جداً حتى أصبح الناس ينادونه بـ «مبتلع السحاب». كان يفترس الرجال ويعدهم وجبته الأساسية، ويتجرع جوهرهم، نخباً لأنفاس الآلهة المحبوبة، وأرواح الموتى، حين تهطل كالأمطار، وحتى هذه كانت مشروباً له أيضاً. ومن أجل ذلك، فقد سعى سكان المنحدرات إلى قتله، لكن الأبطال هلكوا واحداً تلو الآخر في سبيل هذه الغاية. وانقطعت الثلوج في الشمال والغرب لهذا السبب أيضاً؛ وتوقفت الأمطار عن الهطول في الجنوب وفي الشرق؛ فترنّح الضباب فوق الجبال؛ وجفت مياه الوديان؛ وذبلت الذرة في الحقول؛ وتضور الرجال جوعاً وهلكوا في المنحدرات الشاهقة.

ثم ظهر توأما الحرب، آهايوتو وماتسيليما، اللذان راهنا على حياة الخصوم والمخلوقات الجبارة. يا للعجب! قالا: «ليس هذا بالأمر الجيد بالنسبة لأولادنا البشر، فلنقض على هاكي سوتو هذا، مبتلع السحاب».

كانا يسيران في الطريق المؤدي إلى منحدر الصخور الملساء.

قال صوت خافت متهدج: «آه، يا حفيديّ، إلى أين أنتما ذاهبان؟». نظر الأخوان - الأكبر ثم الأصغر - حيث شاهدا جدتهما[1] - حائكة الشباك - واقفة على رؤوس سيقان الحشائش تحيك رايتها من مواد خام ذات وبر.

صرخ أحد الآلهة للآخر: «العنكبوت! جدتنا العنكبوت!». و هتفا لها: «هيه! أيتها الجدة، هل أنت من كنت تنادين؟».

«نعم يا ولديّ؛ أين تذهبان في هذه الظهيرة؟».

قالا: «نعم، نحن نتجول، انظري الآن؟».

«ليس هناك خرزات تطرز مظلتكما».

«لقد سقطت هذه في صباحات كثيرة».

(1) في حكاية سابقة (العنكبوت) هو جدّ ذكر، أما هنا فإنه جدة أنثى (م).

قالت المرأة العنكبوت: «آها، انتظرا! من تريدان، فأنا أعرفه بالتأكيد

كشجرة تسقط من قمة الجبل

يستلقي بجانب طريق الجرف

ويتظاهر بالنوم هناك، مع أنه يقظ.

سأخيط عينيه بأوتاري الزغبة.

ثم تأتيان وتقتلانه، يا حفيديّ».

ركضت إلى الأمام. كان هاكي سوتو يستلقي هناك، ساقاه على الطريق حيث يتجول الرجال. عظيماً، مثل جذوع وأغصان شجر الصنوبر المنحنية أمام الرياح العاصفة، تتقوس ساقاه فوق ذلك الطريق، وعندما يمر أحدهم صدفة، يصرخ العملاق قائلاً: «صباح الخير!» ويأمره: «اعبر من الجهة اليمنى للأسفل». ثم يتابع: «أنا مسن ومريض»، ويقول بكل تهذيب: «لا تهتم لوقاحتي، لذا؛ أسرع واسلك الجهة اليمنى إلى الأسفل؛ لا تخف، أسرع واسلك الجهة اليمنى إلى الأسفل!» لكن حين يحاول الصياد العبور، فإنه يمسكه ويلقي به في الجرف ليأكله صغاره.

خطت العنكبوت خطوات واسعة، وتسلقت خلف أذنه الضخمة، وبسرعة شرعت في حياكة شبكتها حوله، إلى الأمام وإلى الخلف، إلى الأعلى وإلى الأسفل، وجدلت شبكتها داخل أهدابه وخارجها.

هدر العملاق: «زقزقي أيتها العصافير وغمغمي أيتها المخلوقات!»، وشد هذا الطريق الذي ما هو إلا حاجباه. فقد شعر بوخزات، إلا أنه لم يتحرك، لأنه سمع وقع أقدام إلهي الحرب، وظن أنهما صيادان بدينان، فكان عليه أن يتظاهر بالنعاس.

بدأ الاثنان بالغناء: «ها! ها!»، وكأنهما اعتادا الشجاعة أحياناً. لم ينظر هاكي سوتو قط، بل تثاءب وتشدق وهما يقتربان أكثر فأكثر. وقال: «لا تهتما يا ولديّ، اعبرا من الناحية اليمنى إلى الأسفل؛ أنا ضعيف ومتعب هذا الصباح».

ركض آهايوتو نحو اليسار. وركض ماتسيليما نحو اليمين. فوثب هاكي سوتو للإمساك بهما، لكن عينيه كانتا مصمتتين بشبكات العنكبوت فأضاعهما، وتظاهر بالسقوط، صارخاً: «آه! ظهري المسكين! آه! ظهري المسكين! مرا من الجهة اليمنى إلى الأسفل، يا أولادي، لم يكن ذلك إلا تشنجاً في ظهري. آه! يا ظهري المسكين!»، لكنهما ضرباه على رأسه ومعدته حتى هلك. فدفعاه من فوق الجرف إلى أسفل.

ويقال إن الجدة العنكبوت قامت بتقييده هناك بشعره - بالتحديد من حلية شعره - حيث ترى الخطوط البيضاء على تلك الأعمدة، لكن الطيور هي من قلمت الأعمدة، وهذا لافت للنظر. عندما سقط هاكي سوتو، غاصت قدماه لمسافة كبيرة في الرمال، واندفعت آلهة العواصف لنجدة ولديها، إلهي الحرب، وجرفت دمه فوق الرمال، فتيبس متحولاً إلى حجر. عندما رآه صغاره يهوي، اندفعوا أفواجاً لافتراسه، مصدرين جلبة عالية. لكن التوأمين، عندما شاهدا هذا، اندفعا نحو الصغار أيضاً ولويا أعناقها جميعاً ما عدا الأطول بينها (الذي علق في الرمال مع والده) وقذفاها عالياً في الرياح، فتحوّل أحدها حالاً إلى بومة، تستطيع أن تلوي رأسها بكامله أينما تشاء لتحدق حولها؛ وتحول الآخر إلى صقر، يستطيع - حتى يومنا هذا - أن يحط ويعشش في قمة والده المغطى بالرمل، العملاق آكل السحاب. وظلت الصقور تبكي على مدى الدهور: «آه يا أبي؛ آه يا أبي!».

ولكن، أجدادنا الذين كانوا يقطنون في المنحدرات، هاجروا إلى الجنوب وإلى الشرق - مخافة ألا تعاود الأمطار إنعاش وديانهم ثانية، كي لا يلقوا المصير الذي حل ببعضهم في السابق؛ فقد

أضحوا أمواتاً في بيوتهم في قرى المنحدرات الشاهقة، وجفوا كما جفت سيقان الذرة التي ذوت عندما توقفت الأمطار لفترة طويلة جداً في الماضي، عندما كانت كل الأشياء حديثة النشوء.

وهكذا تنتهي حكايتي.

العذراء التي عشقها إله الشمس وولداها

أو كيف ولد الغضب

فلتكن قصتنا التي سأرويها لكم اليوم عن شخص عاش في «موطن النسور»، قرية «كياكيم» تحت جبل الرعد. كان ذلك في قديم الزمان، في العصور المنسية التي تتجاوز كل التخمينات. هناك عاشت في هذه البلدة آنذاك ابنة رئيس كهنة عظيم، لكن لم يحدث قطّ أن تجاوزت الفتاة مذ كانت صغيرة عتبة المنزل الذي ترعرعت فيه، فلم يسبق لأحد في تلك البلدة أن رآها؛ حتى سكان مدينتها أنفسهم.

كان بمقدور إله الشمس في وقت الظهيرة، عندما يصل إلى كبد السماء، اليوم تلو الآخر، أن ينظر من السماء إلى الأسفل عبر النافذة الصغيرة في سقف بيتها. وقد وقع في حبها مذ لحظها أول مرة، فصار ينزل عبر الأثر الذهبي المنير الذي تخلفه أشعته، ليتحدث إليها. لم يكن لها من رفيق سواه، لأنها لم تكن تعرف أهل مدينتها، ولم ترهم مذ كانت طفلة صغيرة. لم يرها أحد سوى أهلها.

ظل أهل المدينة يتساءلون بين بعضهم بعض: «كيف تبدو ابنة الزعيم، إنها لا تخرج قطّ؛ لم يرها أحد مذ كانت طفلة صغيرة». فأجمعوا في النهاية على وضع خطة كي يتمكنوا من إلقاء نظرة عليها. ثم بادر أحدهم إلى القول: «وجدتها! فلنقم لأجلها رقصة. فربما تقبل بالخروج إلينا».

وكان الشاب الذي تكلم قائد فرقة الراقصين، فكيف لن يقترح شيئاً كهذا؟ وهكذا، وافق أصدقاؤه وأتباعه، وبدأوا بصنع لوحات رائعة من ريش الببغاء من أجل رقصة الريش. ثم حددوا يوماً. ورقصوا في صباح ذلك اليوم مع الموسيقى والأغاني في الساحة العامة المقابلة لمنزل رئيس الكهنة حيث تقيم الفتاة. واصل الشبان النظر إلى أعلى المنزل لكن بلا جدوى؛ فلم تكن الفتاة هناك، فوالداها المسنان فقط بقيا جالسين على السطح.

صاح الشاب الذي أراد رؤية الفتاة: «آه! أشعر بالعطش الشديد!».

قال والدا الفتاة المسنين: «اركض إلى الداخل واشرب»، فتسلق الشاب السلم ودخل الغرفة الأولى. لم يجد ماء، فذهب إلى الغرفة الثانية، ولكن لم يكن هناك ماء أيضاً؛ ثم ذهب إلى الثالثة؛ ولم يجد ماء أيضاً. بحث في كل مكان لكنه لم يرَ ابنة

رئيس الكهنة. فقد جلست كعهدها دائماً في الغرفة الرابعة، مستغرقة في حبك أطباقها الجميلة الملونة، وكأن أحداً لم يكن يرقص هناك في الساحة.

لذلك عاد الشاب أدراجه. وأنهى الشبان رقصتهم دون أن يلمح أحد منهم ابنة رئيس الكهنة. ولما عادوا جميعاً إلى حجرة الاحتفال الخاصة بهم، خاطب أحدهم الآخر قائلاً: «يا للخيبة! رغم أننا رقصنا من أجلها، إلا أنها لم تخرج لرؤيتنا!».

في الواقع، فإن عشيقها إله الشمس، الذي كان ينزل كل يوم على شعاع من نوره ليزورها، أحبها حباً جماً لدرجة أنه لم يشأ لها أن تخرج من منزلها وتدع الرجال ينظرون إليها. لذلك وضع نسراً في قفص كبير على سطح بيتها ليراقبها. كان نسراً عجوزاً حكيماً بمقدوره أن يفهم لغة البشر. فكانت الفتاة تطعمه وتسقيه من يوم إلى آخر. لكنّ الراقصين ظلوا يتساءلون: «ما العمل؟».

قال قائد الفرقة الراقصة: «دعونا نرقص مرة أخرى، وإن لم ننجح، نرقص من جديد». ففعلوا ذلك، لكنهم لم يحرزوا أي تقدم. وفي النهاية شعر الكاهنان المحاربان المبجلان بالغضب، ومع أنهما كانا من جنود والد الفتاة، إلا أنهما أمرا بإقامة

مهرجان المحارب، أو رقصة المحارب، قائلين: «بالتأكيد، سوف تخرج، وإذا لم تفعل، فلتهلك إذن، فكيف بإمكانها أن ترفض الاستمتاع برقصة المحارب العظيمة المبهجة، التي يرقص فيها كل شاب ويتنكر كما يشاء؟».

وهكذا خرج المحاربان ذات ليلة، ودعيا الناس لكي يستعدوا ويفرحوا، لأنهم سيمضون أربعة أيام يرقصون فيها رقصة المحارب. وعندما أنهيا دعوة الناس عادا أدراجهما. فبدأ الناس يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين: «ستخرج الفتاة بالتأكيد عندما نرقص رقصة المحارب، لأنها ستبتهج بها، وحينئذ سوف نتمكن من رؤيتها. لقد كانت في غاية الجمال في صغرها».

ثم تسلق المحاربان قمة جبل الرعد، حيث يعيش إلها الحرب آهايوتو وشقيقه ماتسيليما، مع جدتهما. عندما مثلا بين يدي الإلهين، ألقيا السلام: «مرحباً!»، فأجاب الإلهان: «أهلاً!».

ثم سأل المحاربان: «يا والدينا، كيف حالكما في هذه الأيـام؟»، فأجاب الاثنان: «إننا سعيدان. ادخـلا، تفضلا بالجلوس»؛ ووضعا كرسيين للمحاربين. وتابعا «ما الذي تريدانه منا؟ فمن المستغرب أن تأتيا إلى منزلنا دونما قصد أو غاية».

أجاب المحاربان: «هذا صحيح، بما أننا الكاهنان المحاربان لشعبنا، فقد رأينا أنه يجب أن نسعد الشعب خلال هذه الأيام من السنة؛ لذا فكرنا بكل الرقصات الجميلة، وأمرنا بتأدية أفضلها. فسكان مدينة موطن النسور، متلهفون لرؤية ابنتنا، ابنة رئيس الكهنة، التي لم تخرج من منزلها مذ كانت طفلة صغيرة. لهذا فكرنا أن نؤدي رقصة المحارب الخاصة بكما، وعلى ابنتنا إما أن تخرج من منزلها طوعاً، وإما أن تخرج للقاء حتفها؛ لذلك، يا والدينا، أتينا لنسمع نصحكما ونستشيركما».

صرخ الاثنان: «آها! إذن فأنتم تتوقون لرؤيتها، أليس كذلك؟».

فأجابا: «نعم».

«حسناً سيكون لكم ما تريدون، إن لم تخرج الفتاة إلى عرض رقصة المحارب، فسوف تموت!».

هتفا معاً: «آها! شكراً!».

«نعم، سيكون كما تريدان. أخبرانا بالموعد، وامنحانا وقتاً للاستعداد، وسنوافيكما لقيادة رقصة المحارب. سنرقص مرة،

ومرتين، وثلاث مرات، أما في المرة الرابعة، إن لم تنجح الخطة، فسيحدث ما تريدان. سينتهي الأمر بالتأكيد كما تريدان».

«حسناً! شكراً؛ سنذهب الآن، إلى اللقاء!».

فودع الإلهان ولديهما: «إلى اللقاء».

حزن النسر كثيراً مما جرى. فقد عرف كل شيء، لأنه يفهم كل ما يقال. وفي الصباح التالي كان رأسه يتدلى فوق النافذة بحزن مفجع؛ فأخذت الفتاة بعض اللقيمات الشهية نحو النافذة، بعد أن أنهت إفطارها، وخاطبت النسر: «لماذا أنت بائس جداً هكذا؟ ألا ترى، لقد أحضرت لك بعضا من الطعام. هيا كل!».

أجاب النسر: «لن أتناول طعاماً؛ لا أستطيع أن آكل».

سألت الفتاة «لَمِ لا؟ لن أوذيك البتة؛ أنا سعيدة؛ ومازلت أحبك كحالي دائماً».

قال النسر: «واحسرتاه، واحسرتاه! أنا لست حزيناً لأمر يخصني، بل لأن جنديا والدك الكاهنين يتطلعان إلى إسعاد سكان مدينتنا أسفل الجبل الذين يتشوقون لرؤيتك. فقد ظلوا طويلاً يتناقشون فيما بينهم حول اعتزالك، وكيف أنهم لم

يلمحوك قطّ. لذلك أمر الكاهنان بأداء رقصة المحارب، التي ربما تغريك بالخروج. لقد صعدا إلى منزل آهايوتو وشقيقه الأصغر، حيث يعيشان مع جدتهما، في أعلى جبل الرعد، فوعد الإلهان: ‹سيكون لكما ما تريدان› لذلك سيتم الأمر كما يتمنيان في اليوم الرابع من رقصتهما. في الواقع، إن ما سيحدث يا أمي المسكينة، هو أنك لن تعودي على قيد الحياة بعدها. واحسرتاه! ليس بإمكاني أن أفعل شيئاً حيال ذلك، ولا أنت أيضاً؛ فهل من نفع لبقائي معك أكثر من ذلك؟ يجب عليك أن تفكي وثاقي وتحرريني»..

قالت الفتاة: «كما تشاء، ربما توجب عليّ أن أفعل ما طلبت». ثم فكت رباط النسر، فحلق بعيداً كسهم في السماء نحو الأعالي حيث يستريح إله الشمس في وقت الظهيرة، ووصل إلى هناك حالاً.

قال إله الشمس: «لقد أتيت».

قال النسر: «نعم، يا أبي. كيف أنت في هذه الأيام؟».

«سعيد. اجلس هنا».

كانت هناك بطانية ممدودة لأجله، فجلس عليها؛ لكنه لم

يلتفت قط إلى اليمين أو إلى اليسار، ولا حتى إلى منزل إله الشمس الباهر. لم ينبس ببنت شفة. فقط أطرق رأسه، وبدا حزيناً جداً.

سأله إله الشمس: «ماذا هناك يا بني؟». أظن أن لديك مهمة خاصة، وإلا لماذا جئت؟ من المؤكد أنك لم تقطع كل تلك المسافة إلى هنا من دون غاية معينة».

أجاب النسر: «هذا صحيح تماماً، واحسرتاه! يا لطفلتي؛ واحسرتاه، يا لأمي! يوماً بعد يوم في ذلك الوطن تحت الجبل، يواصل سكان المدينة الرقص لعلهم يغرونها بالخروج؛ رغم أنها لم تظهر لهم يوماً. لكنّ راهبي والدها المحاربين استشاطا غضباً، وقد التقيا أخيراً إلهي الحرب في منزلهما في جبل الرعد، وقد أمرا بأن يتم تنفيذ رغبة السكان، وإلا فإن العذراء الجميلة ستهلك. سينتهي الأمر غداً؛ كما قال الإلهان؛ فعندما يحين موعد الرقصة الرابعة، سينتهي الأمر، ولن تكون العذراء الجميلة حية بعدها؛ هكذا قال الإلهان. ليس بإمكاني أن أفيد أمي، ابنة رئيس الكهنة، طفلتي الجميلة، بكلمات النصح، ليس بيدي حيلة، لذلك جئت إليك، لأسألك ماذا علي أن أفعل؟».

ردد إله الشمس: «ماذا عليك أن تفعل؟ أعلم أن كل ما قلته

صحيح. إن قوتي تفوق قوة إلهي الحرب مجتمعين. ألم يأمرا بأن يحدث هذا؟ ماذا بإمكانك أن تفعل سوى أن تنزل حالاً؟ أخبرها أن تغتسل غداً صباحاً وترتدي أفضل ثيابها. ثم عندما يحين الوقت، ارفعها فوق كتفيك واحملها إلى هنا. فمن المحتمل أن يحالفك الحظ فتصل إلى منزلي برفقتها. ربما تكون رحلتك أقصر، واحسرتاه! لقد أمر إلها الحرب بذلك؛ أما علما أن هناك قوى تفوق قواهما؟».

عقب النسر: «حسناً، سنحاول المجيء».

«وبدوري سأقوم بمراقبكما عندما توشكان على الوصول إلى وسط السماء».

قال النسر منطلقاً: «حسناً، إلى اللقاء».

أجاب إله الشمس: «حسنٌ جداً، فلتوفق في رحلتك». وبدأ النسر بالهبوط.

أثناء ذلك فتحت ابنة رئيس الكهنة كوة السقف، ووضعت على الأرض إناء مليئاً إلى نصفه بالماء والدواء المقدس، لكي تتلقى أشعة الشمس داخله، فتعكس لون السماء، ثم جلست هناك لتنظر بتمعن إلى المياه. وشيئاً فشيئاً لاح النسر، فرأت خياله في الماء.

في تلك اللحظة، أبعد إله الشمس حجابه عن وجهه. آه! كم كان الجو حاراً هناك على الأرض. كانت الشمس تلتهب بالنور، ولم يجرؤ أحد على النظر إليها، وأصبحت الرمال بغاية السخونة حتى أحرقت الأحذية الجلدية لمن كانوا يسيرون فوقها. ركض الجميع إلى منازلهم، وبسط النسر جناحيه ونزل برويّة، لأنه شعر بالحر الشديد. وعندما اقترب من المنزل، أدخلته الفتاة ورحبت به.

قالت الفتاة: «ها أنت ذا يا أبي».

فما كان منه إلا أن أخفض رأسه وخفق بجناحيه، إذ لم يعد قادراً على الكلام، بعد أن غلبه الشعور بالحر الشديد.

رأت الفتاة أن النسر يوشك على فقدان وعيه. فحركت عباءتها وطبق القش بسرعة أمامه فاندفع بعض الهواء البارد نحوه، ثم رشت على رأسه القليل من الماء البارد أيضاً.

سألته عندما استرد عافيته: «لقد ذهبت إلى منزل والدنا، أليس كذلك؟».

أجاب النسر: «نعم».

سألته: «بم يشير علينا؟».

قال النسر: «اسمعي، عند بزوغ صباح الغد ستنهضين وتغتسلين. وعند شروق الشمس سترتدين أفضل ما عندك من ملابس. ستبدأ الرقصة أول مرة، وثاني مرة، وثالث مرة، وأخيراً ستعاد للمرة الرابعة وحينئذ سأرفعك على كتفي وأحملك بعيداً نحو إله الشمس، الذي سيكون بانتظارنا. ربما سيحالفنا الحظ ونصل إلى منزله، فلن يكون أمامنا سوى فرصة ضئيلة للهروب عندما تجري الأمور بشكل سيء وتتعرض حياتك للخطر». وكان هذا ما قاله النسر للفتاة.

عندما حل الظلام، جمعت الفتاة كل مراوح القش التي صنعتها من أجل طقوس والدها المقدسة، وبسطتها في ضوء النار، ثم بدأت بتجميعها في أكوام مختلفة.

كان والدا الفتاة جالسين في الغرفة المجاورة، حين سمعا الضجة، التي بقيت تصدرها حتى وقت متأخر من الليل. فقال أحدهما للآخر: «ما الذي يبقي ابنتنا في الأعلى؟»، لذلك صعد رئيس الكهنة ودخل غرفتها.

سأل الأب: «ألم تخلدي للنوم بعد يا ابنتي؟».

أجابت: «لا، إنني أقوم بتقسيم الأطباق التي صنعتها من

أجلك». وتابعت مشيرة إلى كومة من الأطباق صفراء اللون «هذه، تشير إلى أرض الشمال؛ وتلك الزرقاء إلى أرض الغرب، أما الحمراء فإلى أرض الجنوب، والبيضاء للشرق، أما الملونة فتشير إلى المناطق العليا، والسوداء إلى السفلى. غداً، يا أبي الحبيب لن تراني مرة أخرى».

قال الأب: «حسناً»، إذ أدرك أنها مشيئة الآلهة، فقد كان كاهناً عظيماً، ولذلك لطالما عقب: «حسناً. ماذا يسعني أن أقول؟»، ثم ترك الشيخ ابنته.

بعد ذلك، وعندما دنا الصباح، اغتسلت الفتاة. فنظر إليها النسر وقال: «طفلتي، أمي، اضطجعي ونالي قسطاً من الراحة، فأمامنا رحلة طويلة. لا تخافي البتة؛ سأوقظك في الوقت المناسب». فاستلقت ونامت. جثم النسر فوقها وراقب بزوغ الفجر.

شيئاً فشيئاً لاحت تلك النجمة العظيمة. فعلم النسر أن إله الشمس سيلحق بها على الفور، فقال: «أمي، انهضي! ارتدي ثيابك، فقد كاد الوقت أن يحين».

في الخارج، بدأ الكاهنان المحاربان يناديان السكان:

«بسرعة، بسرعة! استعدوا للرقصة!

بسرعة، بسرعة! اجتهدوا من أجل الرقصة!

بسرعة، بسرعة! يا أبناء شعبنا!».

ذهبت الفتاة إلى غرفة أخرى و أحضرت أفضل أثوابها، ولبستها واحداً تلو الآخر، ولم تكتفي بواحد فقط، بل لبست العديد منها. ووضعت فوق كتفيها أربع عباءات من القطن المزخرف. ثم قالت للنسر: «انتظر لحظة، ما زال علي أن أفكر بأبنائنا في موطن النسور». لذلك أحضرت وعاءها المملوء بدقيق الذرة الناعم الذي اعتادت أن تضعه على وجهها. كان هناك دقيق الذرة الأصفر، ودقيق الذرة الأزرق والأحمر والأبيض والرمادي والأسود. «هل ترون» قالت مشيرة إلى الأواني المختلفة من الدقيق «يا أبنائي، بهذه ستجملون أجسادكم، بهذه ترفعون عن الشر، بهذه تختتمون سبل حياتكم بكرامة. لن أكون معكم بعد اليوم. فأنا ذاهبة إلى مكان مجهول بعيد. ربما أصل إليه فتكتب لي الحياة، وربما لا أصل، فأهلك. وها أنا ذا أترك لكم هذه الكلمات كإرث. فالوداع يا أبنائي».

ثم نزل النسر. وبدأت الطبول تقرع في الخارج، فالرقصة

الأولى كانت على وشك أن تبدأ. فقال النسر وهو ينحني: «اركبي على ظهري؛ أمسكي بكتفيّ». وفعلت الفتاة ما طلب منها. فاستلقت على طول ظهر النسر، وتشبثت بكتفيه بيدها اليسرى.

«الآن، ضعي أحد قدميك على أحد فخذيّ وضعي الأخرى على الفخذ الآخر». ففعلت ذلك؛ وبسط النسر ذيله ورفعه ليحميها من السقوط. ثم سأل: «هل كل شيء جاهز؟»، بينما قرع الطبل يعلن بدء الرقصة التالية.

فأجبت الفتاة: «نعم»، ثم ارتفعا.

«افتحي الكوة!».

وبسط النسر جناحيه بعيداً في السماء وارتفع مع العذراء. دارا ودارا في السماء مراراً، لكن لم يرَهما أحد، فالجميع كانوا منشغلين بالرقص في ظل المنازل العالية. انسحب الراقصون. ثم بدأوا مرة أخرى، وأخرى. وعندها قالت الفتاة: «يا أبتِ، أبطئ قليلاً. دعني أغني أغنية وداع لشعبي، أبنائي على الأرض، فيجب أن يعلموا أنني راحلة».

بسط النسر جناحيه و أقلع بلطف عبر الهواء بينما كانت

العذراء تغني. فسمع الناس في الساحة أغنيتها، وقالوا: «واحسرتاه، واحسرتاه! أيها الإلهان!» خاطبوا الإلهين اللذين كانا يقودان الرقصة. «أمنا، طفلتنا، ذهبت بعيداً بين السماوات! يا لكما من أحمقين لأنكما تركتماها تهرب وتخدعنا!».

استمع بعضهم إلى الأغنية وحفظها. أما بعضهم الآخر فلم يفعل. وللمرة الثالثة تقدم الراقصون. «علينا أن نرقص مرة أخرى بعد»

قال الإلهان: «أين هما الآن؟».

أجاب الناس: «في وسط السماء».

قال النسر: «هدئي من روعك، يا طفلتي، سيرقصون مرة أخرى. ربما يحالفنا الحظ فنصل إلى بيت إلهنا الشمس». وأسرعا قليلاً، وهما يقتربان شيئاً فشيئاً من بيت إله الشمس. بينما تسارع وقع أقدام الراقصين، مبتهجين بذلك، فقد رقصوا بمزيد من النشاط متجاهلين تذمر الناس من حولهم.

ثم انسحب الراقصون وعادوا للرقص مجدداً للمرة الرابعة والأخيرة. كان الإلهان يرقصان في الطليعة، وقد اسودّ وجهاهما بلون الحرب، وحملت أيديهما الأقواس والسهام المهيأة لقتل ابنة رئيس الكهنة.

كاد النسر الذي امتلأ قلبه بالأمل، أن يصل مع الفتاة. عندما وصل الإلهان إلى مركز الساحة، التفتا إلى الناس وسألا: «أين هما؟ إلى أين وصلا؟».

أجاب الناس: «إنهما في السماء، هناك تقريباً».

رد الإلهان: «جيد!. لو فرضنا أنهما تقريباً هناك؛ فلن يصلا أبداً إلى بيت أبينا الشمس!».

قال الأخ الأكبر: «أسرع إذن، يا أخي الأصغر؛ بأي يد ستستلّ السهم؟».

قال الأخ الأصغر: «بيدك أنت، بيمناي»[1].

رد الأكبر: «جيد جداً؛ بيدك أنت، أي بيسراي».

---

(1) ربما كان الإلهان ملتصقي الجسد ليس لهما سوى يد يمنى ويد يسرى (كاشنغ).

فاستلا أسهمهما السحرية المسننة، واخترقت السهام الهواء مصدرة أصواتاً أشبه بالنغمات، وبلغت على الفور بيت إله الشمس، وتعامدت أمام وجهه وانحدرت بسرعة كبيرة باتجاه النسر والعذراء. قال إله الشمس بينما مرت الأسهم به: «واحسرتاه! يا أماه، يا طفلتي، قضي الأمر». وانحدرت الأسهم في طريقها.

تسوك! أصدر سهم الإله الأكبر صوتاً وهو يخترق ظهر الفتاة ويصيب قلبها. تسو-كو! أصدر سهم الإله الأصغر وهو يخترق منتصف ظهرها.

صرخ النسر قائلا: «واحسرتاه! أماه، أماه، انتهى الأمر، واحسرتاه، واحسرتاه!»، بينما كانت الفتاة تفلت النسر، وتفقد الوعي، فتركها تسقط في الهواء. ظلت تتهاوى من السماء؛ بينما حدق الناس إليها تقترب رويداً رويداً حتى سقطت العذراء الجميلة أسفل الجبل.

اندفع الناس واحداً تلو الآخر إلى خارج الساحة باتجاه المكان الذي ظنوا أنها سقطت فيه. فهناك أسفل «موطن النسور»، سقطت العذراء الجميلة، حيث تتفجر «ينابيع القيوط» من أسفل الجرف.

هناك ولد طفلان تكوّرا داخل النفايات وغطتهما الصخور وأغصان الشجر.

اندفع الناس نحو الأسفل وسارع أحدهم إلى الاستحواذ على جسدها. صرخ الرجل «إنه لي!» مبتهجاً بالنصر، وهو يرفع الجسد على كتفه.

صرخ الناس: «ملكك!»، فهم لم يحصلوا على جسد العذراء الجميلة.

صرخ أهل مدينة السماء (آكوما) الذين قدموا للتفرج على الرقصات أحدهم في الآخر: «إنه لنا! يا له من حظ عظيم حالفنا في هذا اليوم». وحملوا جسد العذراء شرقاً إلى قريتهم.

وعند النهاية الأخرى لجبل الرعد، كان موطن حيوانات الغرير، وصادف أن الغرير العجوز الذي يسكن هناك كان خارجاً للصيد. بعد أن تجمع الناس مرة أخرى في المدينة، مر الغرير بجانب «ينابيع القيوط» وسمع أصوات الطفلين الباكيين بين النفايات.

قال الغرير: «آه! لقد سمعت بكاء هذين الطفلين. يا ولدي الصغيرين، يا ابنتي الصغيرتين، أين عساكما أن تكونا»؛ ثم فتش

سريعاً ووجدهما حيث كانا يتكوران ويبكيان وسط الفضلات. فصاح «أيها التوأمان! إنهما صبيان! ثمة أحد ما تركهما هنا، ولابد من أن يعود قريباً للمطالبة بهما. سأبتعد لدقائق فقط».

وهكذا دار حول المكان، إلا أنه لم يجد أي أثر لوالدي الصبيين، فلم يكن هناك سوى آثار العديد من الرجال الذين تجمعوا بالقرب من ذلك المكان.

قال مهرولاً إلى الوراء: «إنهما لي!» ؛ ثم أخذ بعض العشب الناعم وفرك الصبيين حتى أزال الوحل والفضلات العالقة بهما. وقال لنفسه: «شكراً، شكراً! هذا رائع! لدي ولدان الآن، وهما صبيان، فعندما أتقدم في السن، سيريحانني من أعباء الصيد. يا للآلهة! شكراً! لن يكون لدي أولاد غير هذين الصبيين!».

ثم جفف الصغيرين ونظفهما بالمزيد من الأعشاب الناعمة، فتوقفا عن البكاء. وأخيرا تناول بعض الأعشاب الجافة وصنع منه رزمة ووضعهما في داخلها، ثم انطلق إلى منزله في «التلال الحمراء».

كانت أنثى الغرير على سطح المسكن تنظر حولها راكضة للأمام تارة وللخلف تارة أخرى، و تقفز داخل المدخل تارة وخارجه تارة أخرى. فقالت: «هيه! هل أتيت؟».

رد الغرير المسن: «نعم، أسرعي! انزلي واستقبليني».

سألت أنثى الغرير وهي تسرع لملاقاته: «ماذا لديك؟».

أجابها: «طفلان حديثا الــولادة! هيا تعالي وخذيهما واصعدي بهما إلى المنزل».

فأخذت أنثى الغرير المسنة رزمة العشب وفتحتها وبدأت تداعب الطفلين. ثم قالت: «آه، يا ولديّ المسكينين؛ يا طفليّ المسكينين!».

إلا أن الغرير زجرها قائلاً: «آه! كفي عن اللعب معهما وتعالي بسرعة!».

فأسرعت أنثى الغرير قدر الإمكان ودخلت. ثم تبعها الغرير، فقالت له: «أين وجدت هذين الطفلين بحق السماء؟».

فأجابها «أترين، لقد حالفني الحظ كما لم يفعل يوماً قط. خرجت للصيد، كما تعلمين، فوجدت هذين التوأمين الصغيرين في أسفل وادي القيوط، تماماً بجانب تلك المنازل. إنهما صبيان، كلاهما. عندما يكبران، يا زوجتي العجوز، ربما يصبح بإمكانهما أن يخرجا للصيد من أجلنا، وعندها أريح نفسي من عناء الصيد،

وسنظل نحصل على الكثير من اللحم في كل يوم على مدار العام». ثم أردف قائلا: «لماذا تقفين هناك؟ لمَ لا تذهبين وتحضرين لهما شيئاً ليأكلاه وتجهزين لهما مكاناً للنوم؟».

فأجابت الأنثى العجوز: «آه، نعم! يا لطفلي المسكينين!». ثم صنعت لهما مأوى صغيراً في قعر جحر وأنامتهما عليه. ثم أسرعت وأحضرت بعض أكواز الذرة الخضراء واستخرجت لبها، وصنعت منه بعض العصيدة، وأطعمت التوأمين حتى شبعا. وفي تلك الليلة، أخذت الأم- أنثى الغرير- طفلاً ونامت بالقرب منه، بينما أخذ الأب-الغرير- الطفل الآخر ونام بقربه.

كان الطفلان يكبران في يوم واحد بقدر ما يكبر أولاد البشر خلال عام كامل. وبالتالي كبرا خلال ثمانية أيام كما يكبر الأولاد عادة خلال ثمانية أعوام في الحجم والذكاء. لم يفشلا مطلقاً في قتل أي حيوان صغير، فقد كانا طفلي إله الشمس. ولكن، واحسرتاه! فقد شعرا بالكآبة والضجر بقتل الطيور حول مدخل مسكنهما، إذ ظل الأب الغرير يطلب منهما ألا يبتعدا عن المسكن؛ واستمرت الأم بمراقبتهما دائماً لخوفها من أن يبتعدا ويضيعا، أو أن يجدهما أحد ما ويطالب بهما. نعم، لقد بدأ صدرهما يضيق بذلك. فقد رغبا بقتل كلاب المروج والأرانب

قطنية الذيل، إلا أنهما لم يتمكنا من الاقتراب منها مسافة كافية. وهكذا، وفي إحدى الليالي حين جاء الغرير العجوز إلى المسكن قالا له: «تعال يا أبي؛ اصنع لنا بعض الأقواس والسهام لنتمكن من اصطياد الأرانب، ويمكنك أنت وأمي أن تأكلا منها ما تشاءان».

قال الغرير العجوز: «حسناً». وفي اليوم التالي، ذهب إلى وديان الغابات، وتدبر أمره بقطع القليل من خشب البلوط، كما أحضر الكثير من الأغصان من أجل السهام. أحضر معه هذه الأشياء إلى المنزل، وفي المساء أخذ قطعة من حجر الصوان وتدبر أمره رويداً رويداً ليصنع لكل فتى قوساً وعدداً من السهام. إلا أنه عندما حاول وضع الريش على السهام، لم يستطع (فحيوانات الغرير - كما تعلم - ليس لها أصابع كالبشر)، لذا فقد اضطر إلى أخذ ريشة واحدة لكل سهم وشقها لجدلها حول عقب السهم. وفي تلك الليلة بالذات، تساقط الثلج؛ الكثير من الثلج، فنظر التوأمان الصغيران إلى الخارج وخاطبا واحدهما الآخر والعجوزين قائلين: «إذن، غداً سنخرج لصيد الأرانب».

ثم هتفا: «أعدّي لنا الغداء يا أمي!».

فسألت أنثى الغرير العجوز: «إلى أين أنتما ذاهبان؟».

«سنذهب لصيد الأرانب بين التلال وأسفل السهول حيث تنمو الأشجار».

«آه يا ولدي المسكينين! ما أنتما فاعلان؟ ستتجمدان حتى الموت، فليس لديكما أيّ ملابس، ولا صوف ينمو على ظهريكما».

«لا تقلقي، يا أماه، إننا قويان. سوف ننهض غداً في الصباح الباكر وننتظر حتى تدفأ حرارة الشمس الكون، ثم سيكون بإمكاننا أن نذهب للصيد».

«وكيف بحق السماء ستحملان طعامكما؟ فليس لديكما أي بساط لتغلفانه».

أجاب الصبية: «أف، ما عليك إلا أن تصنعي لنا بعض كعكات الذرة، علقيها في عود صغير، وسنمسك العود من منتصفه كأننا لا نحمل شيئاً».

جلست أنثى الغرير تبكي وتصلي «أيتها الآلهة». ثم صنعت كعكات الذرة وعلقتها في أعواد صغيرة، وأوى الصبيان إلى

النوم. لكنهما لم يتمكنا من النوم جيداً، فقد كانا متشوقين جداً لصيد الأرانب، وظلا طوال الليل يوقظ واحدهما الآخر ويختلسان النظر إلى الخارج ليعرفا كم من الوقت بقي قبل بزوغ الفجر.

في الصباح، نهض الغرير العجوز مبكراً وجمع الكثير من لحاء الشجر وفركه حتى أصبح ناعماً، وحاك لكل من الصبيين زوجاً رائعاً من الأحذية التي تصل إلى الركبتين تقريباً. فانتعل الأخ الأكبر حذاءه وركض عبر الثلوج. وهتف «أنا الأول!» ثم انتعل الأخ الأصغر حذاءه المصنوع من لحاء الشجر، و أخذا أعواد كعكات الذرة وأقواسهما وسهامهما، وانطلقا بأقصى سرعتهما. ذهبا عبر التلال التي في أسفل جبل الرعد. لم يمضِ وقت طويل قبل أن يقتفيا أثر أرنب، فقتلاه من أول سهم أطلقاه. وهكذا واصلا الصيد حتى أصبح لديهما كمية هائلة من الأرانب فبدأا يشعران بالتعب. وعلى الرغم من اكتساء الأرض بالثلوج، إلا أن الشمس كانت دافئة جداً، لذلك لم يفكرا بوجود الثلوج إلا عندما بدأا يشعران بالجوع، وحينئذ نظرا إلى الأعلى فعرفا أنه وقت الظهيرة، لأن الشمس كانت تستريح في كبد السماء. فصعدا إلى تلة عالية، وحملا أرانبهما إلى فوق واحداً تلو الآخر،

ليجدا مكاناً يرق فيه الثلج. هناك نظفا المكان من الثلج وصنعا بقعة خالية، ووضعا الأرانب فيها، ثم جلسا لتناول كعكات الذرة، التي ألقياها على كومة من العشب. وبينما جلسا لتناول الطعام، نظر إله الشمس إليهما فأشفق على ولديه الصغيرين المسكينين. خاطب نفسه: «مهلاً، سأنزل وأتحدث إلى التوأمين الصغيرين، وأساعدهما. ثم نزل، ويا للعجب! فقد وقف هناك على الأرض على مسافة قريبة من الصبيين، مهيباً نبيلاً بهياً. وكان يرتدي ملابس من القطن المزخرف، بينما يغطي ركبتيه قماش مهدّب تطوقه أحزمة ملونة، وتحمي قدميه أنسجة من الجلد الرائع، وتزيّن عنقه وذراعيه أساور وسلاسل من الأصداف، ويتدلى من أذنيه قرطان من الفيروز، وتتموّج ريشات جميلة فوق رأسه، أما شعره اللامع فقد كان معصوباً بحبال بكل الألوان ثبتت بها ريشات عظيمة من طائر الببغاء. بدا مهيباً مدهشاً رائعاً. فجأة نظر أحد الصبيين للأعلى فرأى إله الشمس يقف هناك.

صرخ أحدهما في الآخر: «انظر! أحدهم قادم!».

سأل الآخر: «أين؟ أين؟».

«إنه هناك!».

ثم اقترب إله الشمس منهما بخطوات جليلة، مبهراً أعينهما ببهائه وحلّته البديعة. فتهامس الصبيان الصغيران وألصقا ركبتيهما بجسديهما (لأنهما كانا عاريين)، وراقباه مرتجفين، حتى دنا منهما. قال أحدهما بتردد: «أهذا أنت؟»، كأنه تذكر للتو ما كان سيقول.

قال إله الشمس: «نعم، أتيت يا ولديّ، كيف كان حالكما طوال كل تلك الأيام؟».

أجابا: «بخير»، إلا أنهما كانا خائفين جداً، واستمرا بالنظر إلى إله الشمس وإلى واحدهما الآخر.

قال إله الشمس بلطف: «يا ولديّ، أنتما ولداي؛ لقد وهبت الحياة لكليكما». فما كان منهما إلا أن حدقا فيه غير مصدقين كلامه.

قال مرة أخرى: «أنتما ولداي».

سألا: «أهذا صحيح؟».

«نعم، هذا صحيح. وقد رأيتكما هنا، وأشفقت عليكما، لذا أتيت لأحدثكما وأقدم لكما المساعدة».

هتفا: «ماذا!»، إلا أنهما بقيا ينظران أحدهما إلى الآخر وإلى إله الشمس، من دون أن يصدقاه.

تابع: «نعم، أنتما ولداي من دون شك، وأنا والدكما».

«هناك بالقرب من جبل الرعد مدينة يسكنها البشر تدعى موطن النسور، حيث عاشت عذراء لم تغادر منزلها يوماً، إذ كانت محتجزة داخل غرفتها دوماً. ويوماً بعد يوم في وقت الظهيرة في مثل هذا الوقت تماماً، كنت أنزل على أشعتي وأزورها. وكان نسر عظيم يقف هناك ويراقبها دائماً. لكن أهالي المدينة كانوا يتوقون لرؤيتها، لذا، فقد رقصوا يوماً بعد يوم أجمل رقصاتهم، آملين أن يغروها بالخروج، لكنها لم تنظر قطّ إلى الخارج. فذهب جنديا أبيها إلى بيت آهايوتو وشقيقه الأصغر ماتسيليما، حيث كانا يعيشان مع جدتهما في جبل الرعد، فوعد الاثنان بأنهما سوف يأتيان مع الجنديين ليجبراها على الخروج. لذلك، خرجا في يوم من الأيام وأديا رقصة المحارب. وعلى الرغم من أنهما رقصا أربع مرات، إلا أنها لم تخرج، بل حاولت الهرب إلى مسكني في السماء على ظهر نسرها، فأطلق الإلهان سهامهما عليها وهوت إلى الوادي. ثم حدث أنكما، يا ولديّ، ولدتما وتدحرجتما بين الشجيرات. وركض الناس من القرية وتصارعوا من أجل جسد

والدتكما، فحصل آكوما عليها وحملها إلى موطنه. ثم وجدكما غرير عجوز وأحضركما إلى زوجته، ولهذا أصبحتما تقيمان في منزل الغرير وأنثاه».

كان الصغيران ما زالا غير قادرين على التصديق.

قال الأب إله الشمس: «انظرا! انظرا ماذا جلبت لكما!» ثم تابع: «انتظرا؛ بعد ثمانية أيام، في موطن النسور، حيث عاشت شقيقات أمكما في منزل والد أمكما، ستقام رقصة عظيمة. اذهبا إلى هناك، ستتسلقان الطريق المنحني وتدخلان البلدة عبر نفق يمر تحت المنازل. لا تخرجا إلى الساحة على الفور، بل انتظرا حتى خروج الراقصين. ثم اخرجا واتجها إلى اليسار حيث ستجدان منزل جديكما. إنه أعظم منزل في المدينة، يقود إليه سلم هو الأطول بين أمثاله، تزين أعمدته حلي لها أهداب من الشعر. وستريان اثنين من طيور الببغاء الصاخبة على السطح، إذا كان الجو دافئاً، كما ستريان شقيقات والدتكما. عندما تدخلان الساحة سيندفع الناس ويسألانكما: 'من أين جئتما، أيها الرفيقان؟ هل ستتفضلان وتشاركاننا في الرقص؟'، وعليكما أن تقبلا، وعندها ستنزل شقيقات أمكما ويرقصن للمرة الأولى، فهن أجمل العذراوات في البلدة كلها، وأكثرهن إباء. ستمسكن

بأيديكما وترقصن معكما، وعندما ينتهين سيطلبن إليكما الدخول إلى منزلهن ويجب أن تدخلا. الآن، الفتاة التي تجلس في الزاوية الشمالية هي الأخت الأولى لأمكما، ولذلك فهي أمكما، أما التي تجلس إلى جانبها، فهي أمكما التالية، وهكذا. سيكون هناك ثماني عذراوات، وستكون الصغرى بمثابة أخت لكما. سوف يضعن لكما مقعدين صغيرين، وعليكما أن تجلسا وتخاطباهن بـ «يا خالاتي». سيجاوبنكما: 'إننا بالتأكيد خالات لكل الصبية الطيبين في مدن البشر الذين ليسوا أعداء لنا'. ثم عليكما أن تخبراهن بأنهن خالاتكما الحقيقيات، وبأن هذا بيتكما، وبأن أمكما اعتادت العيش فيه، وهي العذراء التي لم تخرج قط، بل جلست تصنع أطباق القش الجميلة الملونة طوال الوقت. ثم يجب أن تقودانهن إلى الغرفة المجاورة، وإلى التي بعدها، ثم إلى التي بعدها، وأشيرا إلى أطباق القش الجميلة الملونة والمعلقة على الجدار. فقد علق طبق أصفر على الجدار الشمالي، وطبق أزرق على الجدار الغربي، وأحمر على الجدار الجنوبي، ثم على الجدار الشرقي علق طبق أبيض، كما ثبت على السقف طبق بكل الألوان، بينما هناك آخر أسود على الأرض. ثم أشيرا إلى الأطباق وقولا: «لقد قامت أمنا بصنع هذه». وبذلك سوف يصدقن كلامكما ولن يرغبن في ترككما ترحلان، ولكن بعد

الانتهاء من الجلوس وتناول الطعام معهن، عليكما بالعودة إلى منزل الغرير وزوجته. وفي اليوم التالي عليكما الذهاب إلى بلدة آكوما لتحضرا والدتكما. تماماً وقبل أن تصلا إلى بلدة آكوما ستصادفان ساحرة مسنة تحمل رزمة من الأخشاب على ظهرها. يجب أن تدعوانها 'يا جدتي' وتلقيان عليها التحية بسرور. ستخبركما أنها كاهنة الرقص في بلدة آكوما. ثم سيكون عليكما أن تسألاها، لماذا تخرج لجمع الخشب مع أنها امرأة، وستجيبكما بأنها تجمع الخشب لتضرم ناراً. ثم اسألاها لماذا تود إضرام النار، وستقول لكما إنها تشعل ناراً يوماً بعد يوم في حجرتها الاحتفالية، وعندما تصل إلى البيت مع أخشابها فإن الشبان الذين في فرقتها يقدمون لها الطعام، وعند حلول الظلام تأخذ الأخشاب إلى الحجرة الاحتفالية وتجلس على مقعد حجري بالقرب من الموقد ثم تقوم بإيقاد النار؛ لأن الشبان يجتمعون في الحجرة ويحضرون لرقصة قادمة. وعندما يستعدون تأخذ الساحرة العجوز عظام أمكما من الكوة في النهاية الغربية من الحجرة وتوزعها على الشبان، الذين سيحملونها خلال أداء الرقصة. تعطي الساحرة الجمجمة إلى أحدهم، وعظمة الصدر للآخر، والأضلاع للثالث، وهكذا حتى يكون لدى كل واحد عظمة يحملها خلال الأداء. عندما تنتهي الرقصة، تمرّ بالجميع

وتسترجع العظام بكاملها وتعيدها إلى مكانها في الكوة. يعود بعض الشبان إلى منازلهم، في حين يقضي بعضهم الليل في الحجرة، ثم تستلقي العجوز لتنام بالقرب من العظام وتحرسها. والآن عندما تنتهي من إخباركما بكل هذه الأمور، عليكما أن تسألاها عما إذا كان هذا كل شيء. فإن قالت `نعم` اقتلاها؛ ثم اسلخا جلدها، وعلى الأخ الأصغر أن يلوح بيديه فوق الجلد ويرتديه، وعندئذ سيبدو بهيئة المرأة العجوز. ثم سيكون عليه أن يتسلق الجبل وصولاً إلى بلدة آكوما ويدخل ليفعل تماماً ما قالت العجوز إنها اعتادت على فعله. وبعدئذ، عندما تنتهي الرقصة ويستعيد العظام ويضعها في مكانها في الكوة، سيكون عليه أن يستلقي ويتظاهر بالنوم، وسيغادر بعض الشبان إلى منازلهم؛ وسينام بعضهم الآخر هناك. وعندما يبدأ الجميع بالشخير، عليه أن يجمع كل عظام والدته وعينيها المجففتين وقلبها، ويحضر كل ذلك بأقصى سرعته إلى حيث ينتظر أخوه. وعندما يصل إلى هناك، ـ ويا للعجب ـ ستعود والدتكما إلى الحياة مجدداً وتكون تماماً كما كانت قبل أن يقتلها إلها الحرب. لكن تذكرا، عليكما ألا تتركا عظمة أو جزءاً واحداً، فإذا فعلتما، فإن أمكما ستعوز ذلك الجزء حين تعود للحياة ثانية».

رد الصبيان: «حسن جداً، سنفعل ما أخبرتنا به، سنفعل بالتأكيد».

«لقد منحتكما عند ولادتكما القدرة على قتل كافة أنواع الحيوانات؛ لكن تذكرا لا تقتلا أرنباً واحداً أو غزالاً أو وعلاً أو نعجة برية أو أيلا، حتى ولو كان أفضل ما رأيتما في حياتكما، لأنكما إن فعلتما، فستهلكان مع أمكما».

فقطع الصبيان له وعداً بألا يفعلا. «لن نفعل ذلك قطعاً»، قال الأخ الأصغر، «إذا تلقى أحد أمراً من والده، فهل سيعصي الولد الأمر؟».

قال الأب إله الشمس للأخ الأصغر: «تعال وقف هنا». ففعل الصبي الصغير كما طلب منه.

«ارفع قدمك».

فسحب الأب إله الشمس حذاءه الجلدي ووضع فوقه جورباً جميلاً ذا أهداب، واستبدل الحذاءين الجلديين بحذاء عالي الساقين كالذي كان ينتعله، وثبت الجوربين بأربطة ملونة بكل الألوان، وألبسه مثل لباسه، ثم وضع جعبة سهام جميلة على عنقه. لكن الصبيين المسكينين كانا داكني البشرة، وكان شعراهما متشابكين

وملبدين فوق رأسيهما. فالتفت الأب إله الشمس كأنه يستدعي رسولاً خفياً، وأخرج غيمة هائلة دافئة من الضباب، نظف بها الصبيين، ويا للعجب! أصبح جلداهما ناعمين صافيين، وتموج شعراهما على ظهريهما. ثم عقص الأب إله الشمس شعر الأخ الأصغر وثبت عليه ريشة ببغاء أشبه بالتي كان يضعها على رأسه، ووضع المزيد من الريش البهي على رأسه.

ثم خاطب أخاه: «انظر، انظر إلى أخيك الأصغر». إلا أن الصبي الصغير المسكين كان يشعر بالعار الشديد، فلم يجرؤ إلا على اختلاس نظرات خاطفة إلى أخيه وأبيه إله الشمس، فما كان من الأب إلا أن ألبس الصبي الآخر مثل أخيه.

هتف الصبيان: «رائع!»، وهما ينظر أحدهما إلى الآخر وإلى الأب إله الشمس.

قال أحدهما للآخر: «تبدو مثله تماماً». ولكنهما لم يدعوانه بأبي بعد. ولم ينطقا بكلمة.

حدث أحدهما الآخر: «لابد من أنه والدنا! لأمنا خط داكن اللون في منتصف وجهها تماماً، ووجه والدنا مثله تماماً، إلا أن والدنا ذقنه أشيب». لذلك عرفا أن إله الشمس هو والدهما، وشكراه على طيبته.

ثم قال الأب إله الشمس: «تذكرا ما أخبرتكما به، يا ولديّ. علي أن أذهب الآن إلى منزلي في السماء. أتمنى لكما السعادة دوماً».

«أنتما ولداي وأنا أحبكما، ولذلك فقد جئت لمساعدتكما. أسرعا إلى المنزل الآن لرؤية والديكما اللذين ربياكما - الغرير وأنثاه - فهما الآن بانتظار عودتكما. لن يتعرفاكما، لذا عليكما أن تلفا جواربكما الجلدية وتحملا أطواق كعك الذرة، بالإضافة إلى الأرانب التي قمتما بصيدها».

فسأل الصبيان: «كيف سنحملها؟ إنها ثقيلة».

فدار الأب إله الشمس حول كومة الأرانب الميتة ومرر يديه بلطف من فوقها، وقال: «احملاها الآن». وعندما حاولا رفعها، يا للعجب! لقد كانت خفيفة الوزن كالقش الجاف. فودعا والدهما وانطلقا في طريقهما إلى المنزل. وبعد أن ابتعدا قليلاً، وقفا والتفتا حولهما، لكن لم يعد بإمكانهما رؤية والدهما.

وبالتأكيد عندما اقتربا من المنزل، وجدا الغرير وأنثاه المسنين يتراكضان حول جحرهما، وكان الغرير الأب يستعد للخروج للبحث عن الصغيرين، لخوفه من أن يكون البرد القارص قد

أهلكهما. كان الغرير قد نزل للتو للحصول على بعض جلود الأرانب وأشياء أخرى يمكنه أن يستخدمها لتدفئتهما، عندما صاحت أنثى الغرير من الأعلى: «بسرعة، اخرج! أحدهم قادم!».

قال أحد الصبيين للآخر: «انظر!».

«ها هي أمنا المسكينة تنتظرنا. أسرع! لنركض قبل أن يخرج والدنا للبحث عنا».

وبينما يقتربان صاحا: «أمي المسكينة، ها أنت ذي تقفين رغم البرد تنتظرين قدومنا».

لكنها لم تتعرفهما، وما كان منها إلا أن خبأت وجهها في خجل، لأنهما بدوا في غاية الجمال - كوالدهما - إله الشمس.

سأل الاثنان أمهما عندما خرج الأب الغرير: «ألم تعرفيننا، يا أماه؟».

أجابت: «لا!».

«ماذا! نحن ولداك!».

«آه! ولداي لا يشبهانكما!».

«إننا هما! انظري هنا!»، قالا وأخرجا الجوارب الجلدية وأطواق كعك الذرة.

«ولداي المسكينان!».

«نعم، لم يكن والدنا إلا إله الشمس، وقد نزل ليتحدث معنا اليوم، وألبسنا هذه الملابس التي ترينها، كملابسه تماماً، كما قال إن والدتنا اعتادت على العيش في موطن النسور، حيث لا تزال خالاتنا يعشن هناك، وجدنا أيضاً، وقال إن والدتنا كانت تعيش هناك، لكن إلهي الحرب قتلاها وهي تحاول الهرب على ظهر نسر. وحين سقطت في وادي القيوط، ولدنا، ووجدنا والدنا هنا، وقمتما أنتما بتربيتنا».

فأردف الغرير: «نعم، هذا صحيح، أنا أعلم بذلك؛ وأعلم أيضاً، أن رقصة ستقام في موطن النسور بعد ثمانية أيام. غداً سيتبقى سبعة أيام فقط، وعندما يأتي اليوم الثامن ستذهبان لتتفرجا عليها. اصعدا لتستعدا للرحيل».

فدخل الصبيان، إلا أنهما كانا متعبين بسبب ملابسهما، فلم يكونا معتادين عليها. وعندما وضعت الأم جلود الأرانب

على الأرض، خلع الصبيان ملابسهما وألقياها جانباً بلطف. ثم تناولت العائلة بأكملها وجبتها المسائية.

قال الصبيان: «استمر في عد الأيام من أجلنا يا أبي، وأخبرنا عندما يحين الوقت».

وهكذا مرت الأيام إلى أن جاء اليوم الذي يسبق الأداء، وفي صباح ذلك اليوم خاطب الغرير ولديه قائلاً: «غداً سيكون موعد الرقصة».

فأجاباه: «حسن جداً، فلنخرج للصيد اليوم، حتى يكون لديك أنت وأمي شيئاً لتأكلاه». ثم انطلقا، وعادا في المساء بأعداد هائلة من الأرانب، فسلخت أنثى الغرير الأرانب وباشرت بطهي البعض منها طوال الليل، ليأكل الصبيان قبل ذهابهما إلى البلدة أسفل جبل الرعد.

عند شروق شمس الصباح التالي، لبس الاثنان ملابسهما بعناية، واعتمرا ريش الببغاء، وانطلقا في الطريق الملتف حول الجبل. مرّا بقرية كياتيكيا، وتعجب الناس بشدة لرؤية جمالهما وأثوابهما البهية. ثم تابعا المسير في الطريق عبر وادي القيوط، ومن ثم عبر الطريق المنحني والنفق الذي يمر تحت المنازل و ينتهي

في ساحة «موطن النسور». وقد وجدا كل شيء هناك، تماماً كما وصفه لهما والدهما إله الشمس. فشاهدا منزلاً ذا سلم طويل، يحط عليه اثنان من طيور الببغاء، والعذارى الشابات، خالاتهما، جالسات على سطح المنزل.

وبينما يدخل الراقصون الساحة، تقدم الصبيان، ولاحظهما الناس ورحبوا بهما. ثم تقدم كبير الراقصين وسألهما من أين قدما، وعما إذا كانا يرغبان في المشاركة في الرقص أم لا. فوفقا وتقدما حتى منتصف الساحة، وبدأا الرقص، عندئذ نهضت الفتيات الشابات ورافقهما بعض الراقصين الرئيسيين إلى ساحة الرقص.

على الرغم من أن الراقصين قالوا لهن: «ارقصن هنا»، إلا أنهن لم يستجبن. فقد اتجهن على الفور إلى حيث كان الشابان اليافعان يرقصان، وأمسكا بأيديهما كما قال الأب إله الشمس أنه سيحدث تماماً.

في الواقع، حدث كل شيء كما سبق أن قال لهما، فبعد أن أمسكت العذارى بأيدي الصبيين للرقص، وبعد أن انتهت الرقصة، خاطبت العذارى الصبيين قائلات: «تفضلا إلى بيتنا».

فرد الشابان اليافعان: «بكل سرور». وصعد الجميع إلى المنزل وجلسوا معاً. كانت جميع الفتيات شابات، وقد فرحن فرحاً جماً بلقاء الشابين اليافعين. وفي الواقع، وقعت أصغر فتاتين في حبهما، لذا فقد ظلتا تبتسمان وتشعران بالسرور. ثم نهض الأخ الأول واتجه نحو الأخت الكبرى، وقال: «خالتي وأمي».

أجابت: «ماذا؟ فنحن بالطبع، بصفتنا بنات كاهن عظيم، أمهات لجميع الأولاد في مدن البشر»، وهكذا حتى وصلا إلى الأخت الصغرى والأخيرة، وخاطباها «خالتنا وأمنا الصغيرة»، فأجابت بدورها أنه على الرغم من كونهن صغيرات، لكنهن يعتبرن أمهات لأولاد البشر.

فرد التوأمان: «لا، أنتن حقاً خالاتنا. وخلف هذه الحجرة حجرة أخرى، وتليها حجرة أخرى، ثم أخرى حيث عاشت والدتنا، التي لم تخرج من منزلها يوماً، بل جلست تصنع الأطباق المقدسة يوماً بعد يوم. ولا تزال تلك الأطباق معلقة على الجدار حتى الآن، وفق ألوان جهات العالم المختلفة.

وهكذا، كما أخبرهما إله الشمس، أنهيا قصتهما. فصدقهما الجميع، وأرسلت العذارى في طلب الجد، رئيس الكهنة العظيم، وعندما وصل عانق الجميع ولديهما الجديدين، مبدين إعجابهم

بخصلات شعرهما المسترسلة الغزيرة والناعمة. ثم ألبسهما الجد بعض الحلي البهية التي اعتادت والدتهما أن تلبسها، وعندما اقترب المساء قدموا لهما طعام العشاء. وحين فرغا من تناول وجبتهما، عند غروب الشمس، نهض الصبيان قائلين: «علينا أن نغادر».

قال الجد والفتيات: «ابقيا معنا، لَمَ يتوجب عليكما أن تبتعدا عن منزلكما؟ هذا هو موطنكما».

«كلا؛ فقد أخبرنا أبانا وأمنا، الغرير وأنثاه، بأننا عائدان إليهما، لذلك فلا بد من أن نذهب»، أصر الصبيان. فوافق أفراد العائلة وتمنوا لهما رحلة موفقة.

قال الاثنان وهما يهمان بالرحيل: «لا تقلقوا، فما زال علينا أن نذهب وننقذ والدتنا. غداً سنذهب إلى بلدة آكوما حيث يرقص الناس يوماً بعد يوم في ذكراها». ثم رحلا وعادا إلى مسكن الغرير وأنثاه.

وعندما وصلا إلى البيت كانت أمهما، أنثى الغرير وأبوهما الغرير ينتظران خارج جحريهما.

صاحا: «آه، ها أنتما!».

«نعم؛ كيف قضيتما نهاركما؟».

رد الوالدان المسنين: «بسعادة! ادخلا، ادخلا!». فدخلا.

حين أنهيا تناول طعامهما، قال الأخ الأكبر: «أمي، أبي، اسمعا! سنذهب غداً إلى بلدة آكوما لإنقاذ والدتنا. أعدا لنا غداء، وسننطلق في الصباح الباكر. يمكننا أن نركض بسرعة وسوف نصل إلى هناك خلال يوم واحد فقط، وفي اليوم التالي سنعود مبكرين برفقة والدتنا».

رد الأب الغرير: «حسناً، هذا جيد». بيد أن الأم، أنثى الغرير قالت: «آه يا ولديّ المسكينين!».

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، لفت الأم أنثى الغرير بعض كعكات الذرة الحلوة في دثار، لأنها لم تملك الوقت الكافي لوضعها في طوق، وانطلق التوأمان في الطريق الشرقية الوعرة. أراد والدهما، إله الشمس، أن يساعدهما؛ فقصر النهار وجعلهما قادرين على أن يخطوا خطوتين في كل مرة، حتى تمكن الصبيان من الوصول إلى «ينابيع الأيائل»، على مشارف بلدة آكوما. ثم، وبسرعته المعهودة، سافر الأب إله الشمس باتجاه «أرض الظلمة»؛ وتابع الصبيان طريقهما حتى لمحا بلدة آكوما

من بعيد على قمة جبل. وبالطبع وجدا هناك عرافة عجوزاً تترنح تحت حمل من الأخشاب، وعندما اقترب الصبيان منها قالا: «مرحباً، يا جدة، كيف حالك هذه الأيام؟».

أجابت المرأة العجوز: «بخير».

«لماذا عليك أن تحملي الخشب مع أنك امرأة مسنة؟».

أجابت العجوز: «لأنني كاهنة الرقصة!».

«كاهنة الرقصة؟».

«نعم».

«أي رقصة؟».

«في يوم من الأيـام، كانت هناك عـذراء تعيش في موطن النسور، قتلها إلها الحرب وهي على ظهر نسر كان يحاول الهرب بها، فسقطت؛ وتمكن أحد رجالي من الحصول عليها، لذلك فنحن نرقص بعظامها كل ليلة».

سألا: «حسناً، فلماذا إذن تحضرين هذا الخشب؟».

«لأضيء به الحجرة الاحتفالية».

«ماذا تفعلين عندما تصلين إلى المنزل؟».

«تأتي عذارى قريتي لصنع مأدبة من أجلي، ثم عندما يحل المساء أذهب لأوقد ناراً في الحجرة باستخدام هذه الأخشاب وأنتظر حتى يجتمع الشبان، وعندما يصبح كل شيء جاهزاً أخرج عظام العذراء من كوة في الجدار وأوزعها، وعندما ينتهون من أداء الرقصة، آمرهم بالتوقف، فيقومون بإعادة العظام».

سأل الصبيان: «وماذا يفعلون بعد ذلك؟».

«بعضهم يعود إلى منزله، وبعضهم الآخر ينام هناك، كما أستلقي أنا أيضاً وأخلد للنوم هناك».

سأل الصبيان: «أهذا كل شيء؟».

«نعم، هذا كل شيء، ماذا أيضاً؟».

«لا شيء، إلا أنه يتوجب علينا أن نقتلك الآن». ثم طرحاها أرضاً وقتلاها. وسلخا جلدها وجعلاه أشبه بكيس كبير، ألبسه الأخ الأكبر لأخيه الأصغر، كما علمهما والدهما. ثم حمل الأخ الأصغر رزمة الأخشاب على كتفه.

وسأل: «كيف أبدو؟».

رد الآخر: «مثلها تماماً».

قال: «حسناً، انتظرني ههنا».

قال الأخ الأكبر: «انطلق». فمضى الأصغر. جرى بكل ما أوتي له من قوة حتى اقترب من البلدة، وحينئذ بدأ يترنح ويتثاقل خلال عبوره الطريق، كما كانت العجوز ستفعل، حتى ظن الجميع أنه العرافة العجوز بالفعل. وبالتأكيد حدث كما قال الأب إله الشمس تماماً. فحين انتهت الرقصة، عاد بعض الشبان إلى منازلهم وأمضى بعضهم الآخر الليلة هناك. ولكن العديد منهم بقي هناك تلك الليلة حتى كادوا أن يغطوا الأرض تقريباً. عندما بدأ الجميع بالشخير، نهض الشاب اليافع وخلع عنه جلد العجوز ومشى بحذر بين النيام حتى وصل إلى الكوة في الجدار. ثم وضع عظام والدته، واحدة تلو الأخرى، في عباءته، وتأكد من أنه لم يترك شيئاً، وقفز إلى السلم، فنجح في تسلقه، وأخذ خطوة، اثنتين، ثلاث خطوات؛ لكن عندما لمست قدمه الدرجة الرابعة أصدرت صريراً، فاستيقظ الراقصون النائمون ونهضوا.

هتف بعضهم لبعضهم الآخر: «أحدهم يتسلق السلم!». ثم ركض الشاب بكل سرعته، لكن، يا للأسف! فقد أوقع إحدى عيني والدته من العباءة. وواصل الركض حتى وصل إلى أسفل التلة التي تجثم عليها البلدة؛ وعندما وصل إلى الينابيع التي تصب في السهول، وقف ليشرب بعض الماء، وفجأة، عادت والدته إلى الحياة!

قالت الأم: «يا للآلهة! أشعر بالتعب ولا أعلم ما خطب عيني، فلا تبدو على خير ما يرام».

نظر الصبي إلى والدته. كان جمالها يفوق جمال أي فتاة أخرى، إلا أن إحدى عينيها كانت ضامرة.

قال: «واحسرتاه! يا أمي لقد فقدت إحدى عينيك؛ لكن لا عليك، فبإمكانك أن تقومي بإسدال شعرك على عينيك بتمشيطه نحو الأسفل، ولن يلاحظ أحد الفرق».

بعد أن استراحا، تابعا طريقهما مرة أخرى، ووصلا حالاً إلى حيث ينتظرهما الأخ الأكبر. وعندما نظر إلى أمه، وجد أن إحدى عينيها مفقودة.

قال الأخ الأكبر: «ألم أطلب منك أن تتوخى الحذر؟ مسكينة أمي، لقد فقدت إحدى عينيها!».

«حسناً، لا عليك، يمكن تدبر هذا الأمر بأن تمشط شعرها وتسدله فوق عينها المفقودة ولن يلاحظ أحد الفرق».

قال الأخ الأكبر: «لا يمكن تدبر ذلك أبداً. فلنذهب الآن»، وانطلق الجميع.

وعندما وصلوا إلى «ينابيع الأيائل»، قال الأخ الأصغر: «لنخيم هنا».

فرد الأكبر: «لا، فلنسرع إلى البيت».

«لا، فلنخيم. فأمنا المسكينة ستشعر بالتعب، وإلى جانب ذلك، فإنها لن تتمكن من رؤية المناطق التي نمر بها».

وعل الرغم من أن الأخ الأكبر أصر على متابعة الطريق، إلا أن الأخ الأصغر ألح على البقاء، فخيموا هناك. في اليوم التالي، تابعوا مسيرهم حتى اقتربوا من «مدينة المرتفعات» القريبة من مدينتهم، وخلال الرحلة صادفوا الكثير من الغزلان والظباء والأيائل والخراف البرية.

هتف الأخ الأصغر وهو يمسك بقوسه: «انظر إلى هذا الوعل!، فلنقم بصيده».

قال الآخر: «لا، لا! ألا تذكر ما أمرنا به والدنا؟»، لذلك تابعا المسير حتى وصلا إلى بضع شجيرات، وعندما حانت الظهيرة، جلسوا لتناول الطعام. وبينما كانوا جالسين، أحاطت بهم الطرائد من كل حد وصوب، بل اقتربت مسافة كافية حتى تمكنوا من شم رائحتها، ووقفت تحدق فيهم أو تقضم الأعشاب على بعد خطوات قليلة منهم.

صاح الأخ الأصغر: «انظر إلى ذلك الوعل الرائع!». ثم أطلق سهماً بسرعة البرق.

صاح الأكبر: «لا، لا، لا! لا يجب أن تقتله».

«لم لا؟ فأمنا المسكين ليس لديها ما تأكله غير كعكات الذرة، وكل هذا الكم من اللحم يحيط بنا».

وقبل أن ينطق أخوه بكلمة أخرى، استلّ سهمه حتى الرأس وأطلقه! فاخترق قلب وعل كبير فسقط ميتاً.

وعندها غضبت الحيوانات لرؤية ذلك فأرادت أن تنتقم من أجل الوعل المسكين. فترك الأحمقان والدتهما المسكينة وقفزا فارين بأقصى سرعتهما وتسلقا قمة شجرة عالية، وتمكنا من اعتلاء فرع ضخم، ثم نظرا للأسفل، فوجدا أن وعلاً هائلاً قد سحق والدتهما المسكينة حتى الموت. ثم اجتمعت الحيوانات حول جذع الشجرة وأخذت تضربها بقرونها، إلا أنها لم تستطع تحريكها. وفجأة هجمت بعض الوعول ذات القرون الضخمة. وبدأت تضرب جذع الشجرة بقرونها إلى أن اهتزت وتصدعت، وما لبثت الشجرة أن سقطت وهوى معها الصبيان. ثم بدأت النعاج البرية والأيائل الضخمة تدوسهما وتمزقهما وتطعنهما

بقرونها الحادة، وتتقاذفهما فيما بينها، ومزقت أطرافهما بحوافرها إلى أن أصبح جسداهما أشبه بالملابس البالية فقد تمزقا إلى أشلاء كثيرة، ما عدا رأس الأخ الأكبر الذي لم تشأ الحيوانات أن تلمسه. فبقي الرأس ملقى هناك طوال فصل الشتاء، وبحلول فصل الربيع لم يتبق من الأخوين شيء إلا مجرد جمجمة.

في أسفل الوادي الذي يصل إلى جبل الرعد، تماماً حيث ينعطف جنوباً، تنهض قرية كياتيكيا، وهناك تنبسط حقول رئيس كهنة كياتيكيا التي زرع فيها الذرة والبطيخ والقرع. وعندما جاء فصل الصيف، وأصبحت نباتات القرع في مرحلة الإزهار، انهمر المطر بغزارة في المنطقة بأكملها؛ وهكذا، رويداً رويداً، انجرفت الجمجمة إلى أحد الجداول وأخذت تتخبط في المياه التي حملتها إلى حقول الذرة واليقطين والبطيخ التي يملكها رئيس الكهنة في كياتيكيا.

وبينما كانت عرائش القرع واليقطين في مرحلة الإزهار، كانت ابنة رئيس الكهنة، الرائعة الجمال، تنزل كل صباح عند بزوغ الفجر لتجمع أزهار القرع وتستخدمها في تزكية الخبز من أجل الطعام. حل الصباح الذي تلا هطول الأمطار بسرعة، فقالت الفتاة لأختها الصغرى: «ابقي هنا وقومي بطحن الذرة

في حين أنـزل لأقطف الكثير من أزهـار القرع». ثم حملت عباءتها وانطلقت إلى الحقول. عندما توقفت لبرهة تبحث عن زهور لتقطفها، سمعت صوتاً منبعثاً من بين عرائش القرع.

«المزيد من الزهور هنا،

المزيد من الزهور هنا.

زهور جميلة».

قالت الفتاة: «آه! أتساءل ما كان هذا!»

ثم وضعت عباءة الزهور بسرعة وبدأت بالبحث. وحين اقتربت من مكان وجود الجمجمة، يا للعجب! فقد وجدت هناك شاباً وسيماً!

سأل الشاب: «ماذا تفعلين؟».

فأجابت: «أجمع الزهور».

«سوف أساعدك إذا وعدتني بأن تصطحبيني معك إلى المنزل».

ردت الفتاة: «اتفقنا».

تساءل الشاب: «هل ستفعلين ذلك حقاً؟».

فأجابت: «نعم»، ثم يا للعجب! مد الشاب يده فإذا بكومة هائلة من الأزهار المقطوفة ملقاة أمامه! وبينما يتجاذبان أطراف الحديث، أشرقت الشمس؛ وحين لمست أشعتها الشاب، بدأ يضمر شيئاً فشيئاً حتى لم يتبق أمام ناظري الفتاة سوى جمجمة بالية شنيعة.

بكت الفتاة؛: «آه يا ويلي، بيد أنني وعدت بأخذه إلى البيت، وأظن بأن علي أن أفعل». فحملت الجمجمة بحذر برؤوس أصابعها ووضعتها في العباءة بين الأزهـار، وانطلقت بها إلى المنزل. ثم دخلت إحدى حجرات المنزل وأخرجت الجمجمة بحذر من العباءة، ووضعت بعض القطن في جرة ماء جديدة وكبيرة، وألقت الجمجمة في داخلها. ثم غطت الجرة بحجر مسطح وذهبت لمتابعة طحن الذرة.

وبينما كانت الشمس تغيب، انبعث صوت ما من الجرة: «أنزليني، بسرعة!» .

فأخذت الفتاة الجمجمة ووضعتها على الأرض، وحين أصبح لونها داكناً، انبثق الشاب الوسيم نفسه، وكان يرتدي ملابس رائعة الجمال ويتحلى بالكثير من الأصداف والأحجار الكريمة، تماماً كما ألبسه والده إله الشمس. وكانت الفتاة سعيدة جداً، وأخبرته أنها تود الزواج منه.

في الصباح التالي، وتماماً عند شروق الشمس، اختفى الشاب مرة أخرى، ولم يبق سوى الجمجمة البيضاء القديمة ملقاة على الأرض. فوضعتها الفتاة في الجرة ثانية، وأخذت جرة أخرى وخرجت لتملأها من النبع. إلا أن شقيقتها الصغرى دخلت الحجرة ولاحظت وجود الجرة. فقالت في نفسها: «أتساءل لِمَ حرصت أختي على تغطية هذه الجرة هكذا» ؛ ثم صعدت واقتربت من الجرة وأزالت الغطاء.

نظرت داخل الجرة. ثم « صرخت يا للهول! يا للآلهة! يا للآلهة! »، فقد رأت أفعى ذات أجراس ملتفة حول الجمجمة الملساء بيضاء اللون.

وهكذا جرت منادية والدها ووصفت له ما رأت بخوف كبير.

اكتفى الأب بالقول: «آه! »، فقد كان كاهناً حكيماً جداً، ثم عقب: «يجب ألا تتدخلي فيما يعنيك. عليك أن تبقي هادئة». ثم نهض ودخل الحجرة. ثم اقترب من الجرة، ونظر في داخلها، وقال: «ترفقي بنا، أيتها الآلهة. اظهري على حقيقتك، لا تتقنعي بصور شنيعة، بل اظهري على حقيقتك، كوني كما أنت». تحركت الجمجمة في جوانب الجرة كأنها موافقة على كلام الكاهن.

«أنا موافق على زواجك بابنتي. وسنقوم بإغلاق هذه الحجرة حيث يجب ألا تخرج منها»؛ ومرة أخرى تحركت الجمجمة محدثة قعقعة وأومأت بالقبول بفرح.

وهكذا، عندما عادت الفتاة، تصاعد الصوت من الجرة مرة أخرى، قائلاً: «أغلقي كافة النوافذ والأبـواب، وأحضري لي بعض القطن الخام إن وجد لدى والدك، فقد وافق على زواجي بك والتخلص من هذه الهيئة».

أومأت الفتاة وأسرعت لإحضار القطن، فجلبت كمية كبيرة منه إلى الحجرة. وعند حلول الليل، انبعث الصوت مرة أخرى قائلاً: «أنزليني!»، فعلت الفتاة كما أُمرت، فظهر الشاب أمامها، وبدا أكثر وسامة من أي وقت مضى. وهكذا تزوج الشاب الفتاة وكان الاثنان في منتهى السعادة.

أشرقت شمس الصباح التالي، ولم يغير الشاب مظهره، بل بقي كما هو، وبشكل مدهش، بدأ بغزل خيوط رفيعة من القطن ثم باشر بحياكة البطانيات والعباءات من أجمل الأنسجة، فهو لم يفشل في صنع أي شيء، كونه ابن إله الشمس وبالتالي فهو أيضاً إله.

وهكذا مرت الأيام والأسابيع، وظل الأب إله الشمس ينظر من خلال النافذة بألم ويقول: «يا للأسف! يا بنيّ؛ لقد أعدتك إلى الحياة، فأصبحت الآن لا تتحدث مع والدك. لكنك ستأتي إليّ؛ نعم ستأتي إليّ بالتأكيد».

وبعد زمن، ولدت ابنة رئيس الكهنة الجميلة صبيين في غاية الجمال كغزالين صغيرين. وبمرور الأيام كبر الصبيان وازدادا حكمة وقويت أطرافهما حتى باتا قادرين على الجري. وفي يوم من الأيام وهما يلعبان، صعدا إلى الأعلى ولعبا على سطح المنزل. فرأى سكان كياتيكيا الصبيين للمرة الأولى؛ فأخذوا يتساءلون. بالطبع سوف يتساءلون.

سأل أحدهم الآخر: «من الذي تزوج ابنة رئيس الكهنة؟». لكن لم يعرف أحد الإجابة؛ لذلك دعوا شبان البلدة جميعاً إلى مجلس، وسألوا كلاً منهم عما إذا كان قد تزوج ابنة رئيس الكهنة سراً، وأجاب الجميع بالنفي ورمق بعضهم بعضاً بحيرة.

«من عساه يكون بحق السماء؟ ربما يكون أحد الغرباء قد قدم إلى هنا وتزوجها، ومن الممكن أنه يقيم هناك عندهم».

لذلك فقد قرر المجلس أن من الأفضل أن يلقى هذا الغريب والفتاة وولديهما حتفهم، بسبب خيانة شعبهم. وعلى الفور قام كاهنان محاربان بمناداة الناس لكي يسرعوا ويهيئوا أسلحتهم. «عدلوا سهامكم وأوتار أقواسكم، ضعوا رؤوساً جديدة لرماحكم، جهزوا تروسكم، واستعدوا للمعركة، فعلى ابنة رئيس الكهنة وأحفاده ووالدهم الغريب أن يلقوا حتفهم بعد أربعة أيام».

ولما سمعت ابنة رئيس الكهنة أصوات المنادين، سألت أختها الصغرى، التي كانت تستمع أيضاً، عما قالوه. فهتفت الأخت الصغرى: «واحسرتاه! ستموتون جميعاً!» ثم أخبرتها بكل ما سمعت.

ثم نادى الشاب الكاهن العجوز وأخبره بما يمكن أن يحدث، فقال الكاهن العجوز: «حسناً؛ فلتكن مشيئة الآلهة. إن شعبي لا يعرف طريق السعادة، إنهم حمقى وسيسلكون طريق الحمق».

ولذا فقد انهمك الناس ليومين في إعداد أسلحتهم، وفي صباح اليوم الثالث بدأوا يجهزون لوليمة النصر. ثم قال الشاب لزوجته: «أيتها الأم الصغيرة، محبوبتي الغالية، غداً صباحاً سأذهب لملاقاة أبي»، لأنه تذكر فجأة أنه أهمل والده.

وعندما كادت الشمس أن تصل إلى منتصف السماء، قال الشاب لزوجته: «اذهبي وافتحي كوة السقف. الوداع!»، ثم تحول فجأة إلى غيمة من الضباب دارت بسرعة وانطلقت كدوامة في أشعة الشمس.

عندما اقترب من إله الشمس، لم ينبس هذا الأخير بكلمة، فانتظر الشاب خارجاً بخجل. ثم قال الأب إله الشمس متظاهراً بالغضب: «تعال إلى هنا واجلس. لقد كنت مغفلاً. ألم أكن واضحاً في كلامي معك ومع أخيك؟»، فأطرق الشاب برأسه وقال: «هذا صحيح تماماً».

ثم ابتسم الأب إله الشمس بلطف، وقال: «لا تهتم، ولا تحزن يا ولدي. أعلم لماذا جئت، وأذكر كيف حاولت أن تقنع أخاك الأصغر بإطاعة أوامري؛ وربما تركتك تنساني، وتمر بكل ما مررت به. عليك أن تكون إلهاً، وتجلس إلى يساري. يجب أن تكون نبع خير مفعم بالحياة من أجل البشرية جمعاء، وسيراك الناس ويعبدونك في المساء. و لن تهطل الأمطار على حقولهم إلا بمشيئتك. الحقيقة أنني رتبت الأمر، فأولادي قد ازدادوا حكمة، وعليك أن تبقى بين سكان البلدة و تغنيهم بأصدافك وأحجارك الكريمة، وبمعرفتك وحظك السامين. لكن هؤلاء

الناس يفتقدون إلى الحكمة والتقدير، لذا عليك أنت وأولادك وزوجتك أيضاً أن تتركوا حياتكم الأرضية وتجلسوا إلى يساري. انزل الآن واصنع أربعة من الأطواق المقدسة وأضفرها بالقطن. ثم اصنع أربعة صولجانات مقدسة، كتلك التي تستخدم في السباقات. هل لديك عباءة قطنية غير مطرزة؟».

أجاب الشاب: «نعم».

«هذا جيد. إذن عليك في هذا المساء أن تبسطها وتضع على كلٍّ من زواياها الأربعة طوقاً وصولجاناً. ثبت كل شيء صنعته هناك. لا تترك أي صدفة أو حجراً كريماً، فكلها ستكون بمثابة إرشاد صالح للآخرين، بل ضعها جميعاً مكانها. سيلتف الناس حول منزل أبيك ويقومون باقتحامه، ثم سيتراجعون ويقتحمونه ثانية. وعندما يقترب الناس من المنزل، فليجلس كل منكم في إحدى الزوايا، ثم اسحبوا الزوايا واتركوها مرفوعة، وسوف تبدؤون بالارتفاع بالتدريج. وعندما يقترب الناس أكثر، ارفعوا الزوايا مرة أخرى، وسترتفعون نحو أبيكم. وعندما يبدأون بتسلق السلالم، سترتفعون أكثر، ثم أكثر، وسوف تصلون إليّ».

فنزل الشاب. أما رئيس الكهنة فقد حافظ على رزانته.

وقام بتحضير بعض الأمور المبهجة من أجل المهرجان، فالكاهن يعلم أن كل شيء سيجري على ما يرام، وبالتالي لن يغير أي شيء من نواياه أو أفعاله. وحين سأل الشاب عما قاله له إله الشمس، لم يجبه إلا بقوله: «سيكون كل شيء على ما يرام. غداً سنذهب للإقامة في مسكن والدي إله الشمس لبقية حياتنا».

في الصباح التالي دعا كاهنا الحرب الناس قائلين: «أسرعوا، أسرعوا! فقد حان الوقت وعليكم أن تجتمعوا حاملين أسلحتكم، ففي هذا اليوم سيلقى أولاد رئيس كهنتنا حتفهم!».

لذلك، بعد أن تناول الجميع طعامهم، احتشدوا في غرف المحاربين بأعداد هائلة. ثم ارتفع إله الشمس عالياً في السماء. ولمعت تروسه المشرقة الألوان في أشعته الذهبية. وانتصبت الرماح سوداء اللون كجذوع شجر الغابات المحترقة؛ ورفع الناس هراواتهم الحربية وبدأ بعضهم بتوجيه الضربات إلى الآخر حتى علت الأصوات وتصاعدت كالرعد.

«بوووم!» هدرت أصوات الأسلحة وصرخات الحرب، وأدركت عائلة رئيس الكهنة أنهم قادمون لا محالة. أمضت العائلة ليلتها في الاستعداد، فوضع الشاب جميع حاجياتهم في

البطانية، وجلس أحدهم تلو الآخر عليها. أمسك الزوج وزوجته بزاويتين، وأمسك الوالدان بالأخريين. رفع الجميع الزوايا الأربعة وارتفعوا ببطء نحو السقف. ومرة أخرى، ومع اقتراب الناس أكثر، رفعوا الزوايا واقتربوا من النافذة السماوية. وحين رفعوا الزوايا ثانية، اجتازوا السطح، ورأى الناس ظلهم على الأرض.

صاح الرجال: «أسرعوا، أسرعوا! انظروا إلى خيالهم، إنهم يهربون!».

كانت السهام قد بدأت تصفر وهي تشق السماء باتجاههم، لكن إله الشمس ألقى ترسه تحتهم، فانحرفت الأسهم وطارت بعيداً. ثم جذب أفراد العائلة زوايا العباءة للأعلى ثانية، ومع ارتفاعهم شيئاً فشيئاً، بدأ الناس - العجائز منهم واليافعون - يقتتلون فيما بينهم. حيث نعت العجائز منهم اليافعين بالحمقى لمحاولتهم الاعتداء على حياة إله، ورد اليافعون النعت بدورهم إلى الشيوخ لنصيحتهم بالتوقف عن محاولة الاعتداء على حياة إله.

صاح الشاب: «ستستمرون في فعل ذلك طوال حياتكم لأنكم حمقى! لقد رتب إلهكم، الشمس كل شيء لخيركم، لكنكم كنتم حمقى؛ لذلك ستزول طمأنينتكم وستخسرون كل ثرواتكم».

يا أولادي، ألم تشاهدوا النجوم الصغيرة الزرقاء البراقة التي تظهر إلى يسار الشمس عند الغروب؟ لقد حدث هذا في قديم الزمان، وحيث أن هذه النجوم لا تشاهد سوى في الشرق والغرب في مكان شروق الشمس وغروبها، حتى على أطراف المحيطات الواسعة، ربما أمكننا عندئذ رؤية المجوهرات التي تزينت بها الآلهة. ومنذ ذلك الزمان حتى يومنا هذا، يا أولادي، لا يزال العالم مليئاً بالغضب، وحتى الإخوة يتفقون ثم يختلفون، فيتقاتلون فيما بينهم، ويسفكون دماءهم بغضب أحمق.

ربما أصبح الناس أكثر حكمة وعرفاناً للجميل، فقد ابتسم إله الشمس وألقى بالكنوز-التي انتظرناها طويلاً- في كل مكان، لم يقم بإخفائها داخل أعماق الأرض أو دفنها في شواطئ البحار. وعلاوة على ذلك، فربما يبتسم جميع البشر لبعضهم بعضاً ولا يشمرون سواعدهم أو يرفعون أصواتهم البتة في غضب تجاه بعضهم.

وهكذا تنتهي حكايتي، وأتمنى أن يطول موسم الذرة بقدر ما يمكن لهذه القصة أن تطول، وعسى أن يشاء إله الشمس ويحميني من المخاطر كما حمى أولاده في قديم الأزمنة بتروس أشعة شمسه.



المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة






ISBN 978-9948-01-504-8